نزاهةُ دين رب العالمين

مِنْ لَوْثِ المُلوَّثين

ومجون الماجنين

وهو حوار حول مسألة الاختلاط مع داعية الفساد

والاختلاط فضيلة الانتخابي

فركوس الجزائري وفقه الله

تأليف: أبي حمزة

محمد بن حسين بن عمر العمودي حفظه الله

قرأها وأذن بنشرها:

فضيلة الشيخ المحدث الناصح الأمين أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري شكر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكامل الأعلى ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى، والصلاة والسلام على الزَّكي النقي محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان من بر وتقي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم وكانت العرب في جاهلية جهلاء لم يُعهد مثلها قط ممن تقدمهم من الأمم السالفة، ولقد بلغ الكفر عندهم ذروته وبلغ الفحش والتفحش عندهم غايته، انطمست فطرهم وتنكرت قلوبهم وعميت أبصارهم.

يتقلَّبون بالفواحش والمنكرات ليل نهار، وكانت حياتهم مثل حياة البهائم بل أشد حتى انعدمت عندهم الغيرة فصاروا كالخنازير، كانت الدعارة عندهم والمجون على قدم وساق، كان الرجال والنساء يختلط بعضهم ببعض وتشيع الفاحشة والرذيلة بين أوساطهم وتختلط الأنساب، ويكثر أولاد الزنا وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، والقليل من سلم من غوائل هذه المنكرات والأخلاق الدنيئة.

فالعرب كانت في شرَّ جاهلية، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُّ بِهَذَا الْخَيْرِ. أخرجه البخاري(3606) و مسلم (12/ 236-238).

ويصف تلك الجاهلية، وذلك الشر الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مخاطبًا الملك الصالح والعبد الصالح النجاشي رحمة الله عليه ورضي الله عنه: [

أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه؛ فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، قال: فعدد عليه أمور الإسلام؛ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك] أخرجه الإمام أحمد (1/ ص202-203)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (2/ 1651).

ومن منكرات أخلاقهم ودناءة طبائعهم: ما كان يحصل بينهم من المجون والفجور الذي سببه اختلاط الجنسين من الرجال والنساء بعضهم مع بعض:

وإليك صفته في خبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ[1]؛ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ فَيُصْدِقُهَا، ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ: إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ؛ فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا، أَصَابَهَا زَوْجُهَا

(١) جمع نحو، أي: ضرب وزنًا، ومعنى، قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (9/ 90).

إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ؛ فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا؛ فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ؛ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ؛ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا؛ فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ؛ فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمْ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ، إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ» أخرجه البخاري رقم (5127).

ومن قبيح أفعالهم: أن الرجال والنساء كانوا يطوفون عراة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَتْ الْعَرَبُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرَاةً إِلَّا الْحُمْسَ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ كَانُوا يَطُوفُونَ عُرَاةً إِلَّا أَنْ تُعْطِيَهُمْ الْحُمْسُ ثِيَابًا فَيُعْطِي الرِّجَالُ الرِّجَالَ، وَالنِّسَاءُ النِّسَاءَ، وَكَانَتْ الْحُمْسُ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ الْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَبْلُغُونَ عَرَفَاتٍ» أخرجه البخاري رقم (1665)، ومسلم (8/ 196- 197) واللفظ له.

وفيه (18/ 162) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ؛ فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَـمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾».

فبينما هم على هذا الوصف المخزي الذي وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164] أي: لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه ولو ناقض ذلك عقول العالمين، قاله العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص138).

إذ بعث الله عزوجل إليهم أكرم خلقه، وخير أصفيائه، سيد الأولين والآخرين، خليل رب العالمين، إمام أهل التقى وقدوة أهل الزهد والورع، ذو النفس الزاكية والأخلاق العالية نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وأوضح لهم بفضل الله ورحمته سبيل الخيرات والشرور.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَّ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَّ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُّ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهَّ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهَّ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُّ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 10-11].

فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أعظم منَّة امتنَّ الله بها على عباده، فدعاهم إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وتزكية النفوس وتطهير القلوب من أدناس الشرك وأرجاس الفحش والمجون، والفجور.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 2-4].

وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151].

ومن الغايات الحميدة، التي بُعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لتحقيقها ما أخرجه الإمام أحمد (2/ 381)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (273)، والبزار كما في «كشف الأستار» (3/ 157) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي رواية: «صالح الأخلاق».

الحديث حسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه «الصحيح المسند» (2/ رقم 1373).

فكان من استقام على هذا الدين القويم ظاهرًا وباطنًا زكت نفسه وطهرت وعظم خيره وبركته، وعظمت أخلاقه.

قال الحافظ ابن الأثير رحمه الله في «النهاية»: وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح. اهـ

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى في «المفردات»: أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ..... وتسميته (٢) بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات

---

(٢) يعني: الزكاة.

والبركات .....، وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره. اهـ المراد.

ومن سعى في تزكية نفسه سعى في فلاحها ونجاحها قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14].

ومن وفقه الله تعالى لتزكية نفسه وطهارتها علا إيمانه وارتفعت درجاته.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 75-76].

ومن زكاه الله وأعانه على تزكية نفسه وطهارة قلبه فقد أكرمه ورحمه، وكان ذلك من فضل الله عليه ومنته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو إمام المتقين، يدعو ربه أن يزكي نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو أكرم خلق الهم صلوات ربي وسلامه عليه.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ

نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» رواه مسلم (17/ 41) بشرح النووي رحمه الله.

قال الحافظ النووي رحمه الله (17/ 41-42): ومعنى: «زكاها» طهرها ولفظة: «خير» ليست للتفضيل بل معناه لا مزكي لها إلا أنت كما قال: «أنت وليها» اهـ.

فتزكية النفوس وتطهيرها من أدران الشبه والشهوات أمر مقصود شرعًا، وما ذلك إلا أن التزكية من أسباب الفلاح والنجاح، ومن زكى نفسه فقد سما بها إلى معالي الأخلاق ونزهها عن منكرات الأخلاق.

وبهذه الأدلة يعلم أن الاختلاطيين لم يسموا بأنفسهم إلى معالي الأمور، ولم ينزهوها عن التشبه بالجاهلية، وشؤمها المذكور، ولم يسعو في كمال طهارة قلوبهم ونزاهة أخلاقهم.

لأن من أعظم أسباب المرض المهلك، والانتكاسات هو: اختلاط الرجال الأجانب بالأجنبيات.

فالقلب يُعتبر ترجمان الجسد، فبصلاحه يصلح وبفساده يفسد، ويعرف ذلك بالنظر إلى أحوال العبد، فإن تحرَّى مواطن الخير وتوقَّى مواطن الشر كان ذلك دليلاً على صلاح قلبه، وهذا بحسب ما يظهر من أعماله، وإن لم يتحرَّ مواطن الخير ولم يتوقَّ مواطن الشر كان ذلك دليلاً على أن في قلبه خللاً ومرضًا، ولا أدل على ذلك من هذا المنكر الشنيع مرض رغبته بالاختلاط بين الجنسين ورضى العبد بهذا المنكر وتماديه فيه دليل على فساد في قلبه وخلل في استقامته بنص حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ

الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» أخرجه البخاري رقم (2051)، ومسلم (11/ 26-30) واللفظ له.

إذ أن القلب الصالح السليم النظيف ينكر الأمراض والفتن ويبتعد عنها، ولا يقبلها، وأما القلب الفاسد الوسخ المريض؛ فإنه يشرب الفتن ويتهيج لها، وبرهان ذلك حديث حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه» أخرجه مسلم رقم (2/ 171-172).

قوله: «مجخيًا» هو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة يعني مائلا وفسره بعض الرواة بأنه المنكوس، ومعنى الحديث: أن القلب إذا افتتن وخرجت منه حرمة المعاصي والمنكرات خرج منه نور الإيمان كما يخرج الماء من الكوز إذا مال أو انتكس. اهـ من «الترغيب والترهيب» (3/ 231).

وسلامة القلب سبب لنجاة العبد، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في «تفسيره» (4/ 106): واختلف في معنى القلب السليم ، فقيل : السليم من الشرك ، فأما الذنوب ، فليس يسلم منها أحد ، قاله أكثر المفسرين . وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، وقيل : هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن إلى السنة ، وقيل : السالم من آفة المال والبنين . وقال الضحاك : السليم الخالص . وقال الجنيد : السليم في اللغة : اللديغ ، فمعناه : أنه قلب كاللديغ من

خوف الله تعالى ، وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن . قال الرازي : أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة . ا'

فالمختلط كل يوم هو في منكر في نظر إلى النساء الأجنبيات الفاتنات المفتنات، ولا يستطيع أن يصرف بصره مهما فعل، والنساء عن يمينه وعن يساره وأمامه وخلفه بل وفوقه وتحته؛ فهن محيطات به من الجهات الست ومن كان هذا حاله فكيف يسلم قلبه والعياذ بالله.

ومن استمر على هذا المنكر الجسيم انتكس قلبه وأسود وعلاه الران عياذًا بالله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

أخرجه الترمذي رقم (3334) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه رقم (4244)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (2/ رقم 1430).

فحريٌ بك أيها السني أن تنزه نفسك عن مثل هذه القاذورات، وأن تدعو الله عز وجل أن يجنبك إياها.

عن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».

وفي رواية: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الأهواء والأسواء والأدواء».

أخرجه الطبراني في «الدعاء» (3/ ص1447) باللفظ الأول، والبزار (9/ 155) وهذا لفظ حديثه، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه «الصحيح المسند» (2/ 1084).

والاختلاط من أعظم منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والتمادي فيه يدل على هوى في قلب صاحبه والعياذ بالله تعالى.

وسلامة القلب لا يعد لها شيء، وسعادة القلب إنما تكون بإجتناب الفتن، ومن ذلك هذه الفتنة الظلماء.

عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: ايْمُ اللهِّ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبرَ فَوَاهًا».

أخرجه أبو داود رقم (4263)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه «الصحيح المسند» (2/ رقم 1140).

قوله: «فواها» قال في النهاية: قيل: معنى هذه الكلمة التلهف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: واهًا له. ا' المراد.

ومن مقاصد هذه الشريعة الحسنة: سد ذرائع الفتن إذ أن المقصود الأعظم من ذلك هو حماية الأنفس والأعراض والأموال وسلامة القلوب والعقول، وكل هذا لا تأتي إلا بسد أبواب ومنافذ وذرائع الفتن إذ أن اقتحام هذه الأبواب وهذه المنافذ وهذه الذرائع يكون سببًا في الولوج في الفتن، اللهم سلم سلِّم.

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَرَبَ اللهُّ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ

ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيْ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللهِ لَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يُكْشَفَ سِتْرُ اللهِ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

أخرجه الإمام أحمد (4/ 182)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (2/ رقم 179).

فهذا المثال العظيم الذي ضربه لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نستفيد منه أن بين العبد وبين محارم الله حدودًا وأبوابًا يجب على كل عبد أن يقف عند هذه الحدود، وهذه الأبواب وألا يتجاوز شيئًا من ذلك، وهذا لا يكون إلا بإجتناب الطرق الهاتكة لهذه الحدود وهذه الأبواب.

ونستفيد من هذا أن في قلب كل مسلم واعظ الله يعني: حُججه التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله منه وحرَّمه عليه، والبصائر التي جعلها فيه. أفاده الحافظ ابن الأثير رحمه الله في «النهاية».

قال الحافظ الطيبي رحمه الله: ونظير هذا حديث: «ألا إن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه» فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالسور بمنزلة الحمى وحولها بمنزلة الباب والستور حدود الله الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله

وواعظ الله هو لمة الملك في قلب المؤمن والأخرى لمة الشيطان، وإنما جعل لمة الملك التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن؛ لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلاً ولهذا قال تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].اهـ المراد من «فيض القدير» (4/ 254).

ومن أعظم أسباب وذرائع الوقوع في فاحشة الزنا: الاختلاط إذ أن من حمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ومن قرب من النار يوشك أن تحرقه؛ فهتك أعراض المسلمين، وانتهاك حرمات المسلمين يكون بسلوك مثل هذه الطرق الشيطانية الشهوانية.

وواعظ الله تعالى يتقوى في قلب العبد إذا كان مخرجه ومدخله في طاعة الله عز وجل؛ فإذا خرج العبد من بيته إلى ما يحبه الله ويرضاه سخر الله له ملكًا يتبعه ويحفظه حتى يرجع إلى بيته، وإذا خرج العبد من بيته إلى ما يسخط الله سلط الله عليه شيطانًا يغويه ويضلّه حتى يرجع إلى بيته.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِيَدِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ؛ فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ؛ فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللهَ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ».

أخرجه الإمام أحمد (2/ 323)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (2/ رقم 1261).

فالخروج إلى أماكن العهر والفجور والمجون، من ذلك أماكن الاختلاط يكون سببًا لتسلّط الشيطان على أولئك الفسقة الفجرة.

فأنت ترى أن الفراكسة الاختلاطيين ربما خرج الواحد منهم من بيته إلى مستنقع الاختلاط ولربما مكث الساعات الطوال وهو بين الأخوات في الله، ولا يزال الشيطان رفيقه حتى يرجع إلى بيته، إذ أنه خرج إلى ما يسخط الله رب العالمين ويسخط عباده الصالحين الناصحين الغيوريين.

فهو في هذه المدة الطويلة والشيطان رفيقه، وكل يوم هو على هذه الحالة المزرية؛ فماذا تتوقع ممن يكن الشيطان رفيقه ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: 38].

ومن محاسن هذه الشريعة الغراء التعفف عن المحارم، ولعظم هذه الخصلة الجميلة، أعني التعفف عن محارم الله دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أوائل دعوته.

عن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل وفيه: أن هرقل قال لأبي سفيان: «مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَّ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» الحديث أخرجه البخاري رقم (6) مع «الفتح»، ومسلم (12/ 103-111).

ولقد كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسأل ربه العفاف.

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» أخرجه مسلم (17/ 40-41).

ومن يستعفف عن محارم الله تعالى يعفه الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ

فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ؛ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ» أخرجه البخاري رقم (1469)، ومسلم (7/ 144-145).

فالزم أخي المسلم رعاني الله وإياك العفاف والتعفف عن المحارم، ومن ذلك هذا الخلق الذميم؛ فإن الله تعالى أمر بالتعفف لا سيما من لم يستطع النكاح.

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 33].

وأخبر سبحانه أن الاستعفاف خير، قال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 60].

أسأل من الله تعالى أن يوفقني وإياك إلى كل خير.

ومن الأمور المقصودة شرعًا حفظ الفروج عن المحرمات، وصيانتها عن ذلك إذ أن ذلك سبيل الفلاح في الدنيا والكرامة في الآخرة، ولقد امتدح الله الحافظين فروجهم في ما آية من كتابه.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1-11].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 19 – 35].

ومن حفظ فرجه عن المحرمات ضمن له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجنة.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».

وفي رواية: «مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ» أخرجه البخاري رقم (6474) و(6807).

قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «مَنْ يَضْمَنْ»: بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة، والجزم من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية؛ فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب

عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام. اهـ المراد، انظر «الفتح» (11/ 315).

وقوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ تَوَكَّلَ لِي»: أي: تكفل، وأصل التوكل: الإعتماد على الشيء والوقوف به، وقوله: «توكلت له» من باب المقابلة. اهـ المراد من «الفتح» (12/ 115).

فواجب عليك يا عبدالله أن تحفظ فرجك وتصونه عن المحرمات وعليك أن تستعيذ بالله تعالى من شر منيك.

عن شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ عَلِّمْنِي دُعَاءً أنتفع به، قَالَ: «قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي».

أخرجه الإمام أحمد (3/ 429)، وأبو داود رقم (1551)، والترمذي رقم (3492)، والنسائي (8/ 255-256)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم476).

قوله صلى الله عليه وسلم: «ومن شر منيي»: من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالإستعاذة من شره، وخص هذه الأشياء بالإستعاذة؛ لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعته كما تقرر. اهـ من «فيض القدير» (2/ 135).

وكما علمت أخي الكريم أن من محاسن هذه الشريعة العالية العلَّية سد ذرائع الفتن، وأعظم طريقة لسد هذه الذرائع هو الحذر من تتبع خطوات الشيطان؛ فإن الشيطان إذا أراد أن يوقع العبد في المعصية لا يأمره مباشرة في ارتكابها وإنما يمهد له الطريق ويعبَّده له حتى يصل إليها بكل سهولة والعياذ بالله.

ولهذه نهى الله تعالى عبادة عن تتبع خطوات الشيطان إذ أن تتبع خطواته سبب في الوقوع في الفحشاء والمنكر.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 168-169].

وأعظم صيانة لحفظ الفروج عن الوقوع في جريمة الزنا هو غض الأبصار عن المحارم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 30-31].

فهذه أعظم خطوة من خطوات الشيطان التي توقع العبد في جريمة الزنا؛ فقل لي بالله عليك كيف حال الفراكسة الاختلاطيين أمام هذه الخطوة العظيمة، وكيف يستطيعون أن يغضوا أبصارهم والإخوات في الله محيطات بهم من كل جانب، أتراهم يسلمون من الوقوع في هذه الرذيلة والفاحشة القبيحة، ونحن لا نستطيع أن نتهم أحدًا بعينه، ولكن نقول هذه حدود الله واجب الوقوف أمامها ويحرم مجاوزتها.

ومن تعدّاها فقد ظلم نفسه، ومن حمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ومن اقترب من النار يوشك أن تحرقه ومن تتبع خطوات الشيطان يوشك أن يهلكه ويفسده وما ربك بظلام للعبيد.

ثم نقول لهؤلاء الفراكسة الاختلاطيين وغيرهم من دعاة الاختلاط: إن التمادي في مثل هذا الاختلاط الشيطاني وعدم التحرز من غض الأبصار لدليل على عشق القلب وهوى الفرج وتنميه في الوقوع في هذه الجريمة الشنعاء، والعياذ بالله تعالى، والمعصوم من عصم الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ» أخرجه البخاري رقم (6243)، ومسلم (16/ 205-206).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العينان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني».

أخرجه الإمام أحمد (1/ 412)، وأبو يعلى (9/ 246) وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم829).

وهذا جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري. أخرجه مسلم (14/ 138-139).

ونظر الفجأة هذا لا يتأتى مع الفراكسة الاختلاطيين وغيرهم من دعاة الفساد والاختلاط، إذ أنهم في نظر مستمر يتفكرون في مخلوقات الله وعجائب قدرته على مذهب الصوفية الحيوانية الشهوانية، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

ومستنقعات الاختلاطيين لا تخلو من تبرج وسفور وعهر ومجون.

ومن خضوع في القول وتمايل في الفعل، لو سمحتَ يا أخي لو سمحتِ يا أختي يا حضرة الأستاذ، يا فضيلة الشيخ.

فالتمادي في الخنا والخضوع بالقول من الجنسين ليدل دلالة واضحة على مرض قلوب الاختلاطيين وعلى طمع في الوقوع في هذه الجريمة المنكرة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

ومن علامات مرض قلوب الاختلاطيين وعدم نقاوة قلوبهم وطهارتها مخاطبة الجنسين بعضهم بعضًا وتماديهم في ذلك بدون حجاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53].

فالإسلام صان المرأة وحفظها من الذئاب البشرية ومن صيانة الإسلام للمرأة أن أمرها بالحجاب الشرعي وذلك بأن تغطي سائر جسدها من رأسها حتى أخمص قدميها، وما ذلك إلا حفاظًا عليها وعلى كرامة هذه المرأة المسكينة، حتى لا تتعرض للأذى والإمتهان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

ومن صيانة الإسلام للمرأة العفيفة الكريمة النزيهة: أن أمرها بغض بصرها عن المحرمات وحفظ فرجها عن الحرام وأن لا تظهر زينتها ولا تضرب بأرجلها لتعلم غيرها بزينتها.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

ومن صيانة الإسلام للمرأة: أمرها بلزوم بيتها وعدم الخروج منه إلا لحاجة شرعية ونهاها عن الخضوع بالقول وعن التبرج والسفور.

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 32-33].

ومن صيانة الإسلام للمرأة: حرَّم عليها السفر وحدها ولو كان السفر في طاعة الله تعالى.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»؛ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتْ امْرَأَتِي حَاجَّةً، قَالَ: «اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ» أخرجه البخاري رقم (3006)، ومسلم (9/ 109-110) والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

ومن صيانة الإسلام للمرأة: تحريم الخلوة بها من غير محارمها: تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ» أخرجه البخاري رقم (5232)، ومسلم (14/ 153-154).

قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «الحمو الموت» فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره ، والشر يتوقع منه ، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه ، بخلاف الأجنبي . والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه . فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ، ولا يوصفون بالموت ، وإنما المراد الأخ ، وابن الأخ ، والعم ، وابنه ، ونحوهم ممن ليس بمحرم . وعادة الناس المساهلة فيه ، ويخلو بامرأة أخيه ، فهذا هو الموت ، وهو أولى بالمنع من الأجنبي لما ذكرناه . فهذا الذي ذكرته هو صواب معنى الحديث. ا'

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ» رواه مسلم (14/ 152-153).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».

أخرجه الإمام أحمد (1/ 18)، والترمذي رقم (2165) ضمن حديث، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (2546).

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا؛ فَيَجْعَلُهَا اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهَّ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ،

وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا» أخرجه ابن ماجه رقم (4245)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (1/ رقم189).

ومن صيانة الإسلام للمرأة: أن عظَّم شأن حرمة نساء المجاهدين على نساء القاعدين.

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ فَمَا ظَنُّكُمْ».

وفي رواية: «فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ؛ فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: فَمَا ظَنُّكُمْ» أخرجه مسلم رقم (13/ 41-42).

قال الحافظ النووي رحمه الله: هذا في شيئين: أحدهما: تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم، وخلوة، وحديث محرم، وغير ذلك، والثاني: في برهن والإحسان إليهن، وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة، ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها، قوله صلى الله عليه وسلم في الذي يخون المجاهد في أهله: «إن المجاهد يأخذ يوم القيامة من حسناته ما شاء فما ظنكم؟»، معناه: ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته، والاستكثار منها في ذلك المقام، أي: لا يبقي منها شيئا إن أمكنه. والله أعلم. اهـ

ومن صيانة الإسلام للمرأة: أن لا تمشي وسط الطريق وإنما تمشي في أحد جانبيه حتى لا تختلط بالرجال.

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ

فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ» أخرجه أبو داود رقم (5272)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع».

ومن صيانة الإسلام للمرأة: أن جعل خير صفوفها آخرها وشر صفوفها أولها، وما ذلك إلا لعدم اختلاطهن بالرجال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» أخرجه مسلم (4/ 159).

قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى: وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك ، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك . والله أعلم. اهـ

ومن ذلك: ما رواه البخاري رقم (875) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، قَالَتْ: نَرَى وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الرِّجَالِ.

وفي رواية برقم (866): أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنْ الْمَكْتُوبَةِ، قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ صَلَّى مِنْ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ؛ فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ الرِّجَالُ.

وفيه برقم (872) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِغَلَسٍ فَيَنْصَرِفْنَ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ أَوْ لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا.

وترجم له البخاري رحمه الله فقال: [باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن في المسجد].

ولما كان الحال ضيقًا نهى النبي صلى الله عليه وسلم النساء أن يرفعن روؤسهن حتى يستوي الرجال قعودًا لئلا يقع نظرهن على شيء من عورة الرجال إذا انكشفت.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رِجَالٌ يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاقِدِي أُزْرِهِمْ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ كَهَيْئَةِ الصِّبْيَانِ، وَيُقَالُ لِلنِّسَاءِ: لَا تَرْفَعْنَ رُءُوسَكُنَّ حَتَّى يَسْتَوِيَ الرِّجَالُ جُلُوسًا. أخرجه البخاري رقم (362)، ومسلم (4/ 160).

قال الحافظ النووي رحمه الله: وإنما نهى النساء عن ذلك، لئلا يلمحن عند رفع رؤسهن من السجود شيئًا من عورات الرجال، بسبب ذلك عند نهوضهم. اهـ

ومن صيانة الإسلام للمرأة: أن جعل طيبها يختلف على طيب الرجال.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن طيب الرجال ما ظهر رِيحُه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه»، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (3/ 376)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم97).

فخروج المرأة من بيتها متزينة مستعطرة محرم حرّمه الإسلام على المرأة صيانة لعرضها.

عن زَيْنَبَ الثَّقَفِيَّةَ امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: قال رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ».

وفي رواية: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ» رواهما مسلم (4/ 163).

عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. أخرجه البخاري برقم (869)، ومسلم (4/ 163-164).

يعني: من الزينة والطيب وحسن الثياب والله أعلم، قاله الحافظ النووي رحمه الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ».

أخرجه أبو داود رقم (565)، وابن أبي شيبة (2/ 383)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (2/ رقم1276).

قال الحافظ ابن الأثير رحمه الله: التفل: الذي قد ترك استعمال الطيب من التفل وهي الريح الكريهة، ومنه الحديث: «وليخرجن إذا خرجن تفلات» أي: تاركات للطيب. اهـ المراد.

وليس هذا الحكم خاصًا بخروج المرأة إلى المسجد بل هو عام؛ فإذا نهيت أشد النهي عن الخروج إلى بيت الله عز وجل مستعطرة؛ فغير بيت الله تعالى من باب أولى.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَعْطَرَتْ الْمَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا؛ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا».

وفي رواية: «أيما أمرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية».

أخرجه الإمام أحمد (4/ 400)، وأبو داود (4173)، والترمذي (2786)، والنسائي (8/ 153)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم819).

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، وعصى أمامه، ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده؛ فلا تسأل عنهم، وثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله عزوجل رداءه؛ فإن رداءه الكبرياء، وإزاره العزة، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمه الله».

أخرجه الإمام أحمد (6/ 19)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (590)، والبزار وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1059).

فهذه بعض مقاصد الشريعة الطهارة النقية الزكية الدالة على عظم شأن المرأة في الإسلام وأن الواجب على أوليائها صيانتها والحفاظ عليها، وذلك بتزكية نفوسهن بطاعة وطهارة قلوبهن بمرضات الله تعالى.

ولا تزال الحرب والعداء من قبل أعداء الإسلام على هذه المسكينة الضعيفة حتى غرروا بكثير من النساء؛ فأخرجوهن من بيوتهن وجعلوهن يختلطن بالرجال وغير ذلك مما هو معلوم من الغزو الفكري اتجاه هذه الضعيفة.

والأعجب من ذلك أن ناسًا من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا اغتروا بمثل هذا الغزو الفكري المنحرف أهله الظالم أربابه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد (2/ 50)، وأبو داود رقم (4031) من حديث عبدالله بن عمرو وجوَّده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 19].

هذا ولا يلزم أن يكون المشبه مثل المشبه به.

صيانة المرأة أمر لا بد منه، واختلاطهن بالرجال ليس من دين الله تعالى في شيء.

فالمرأة بطبيعتها فتنة، وكثيرًا ما يتسلط عليهن الشيطان؛ فهن حبائل الشيطان، لا سيما الغافلات منهن والفاجرات.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؛ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» أخرجه مسلم (17/ 55).

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً؛ فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا؛ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ؛ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِه».

وفي رواية: «إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ؛ فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ» رواه مسلم (9/ 177-178).

قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له، ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها ألا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقًا. اهـ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان».

أخرجه الترمذي رقم (1173)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ 863).

قوله صلى الله عليه وسلم: «استشرفها الشيطان» أي ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهتم بها؛ لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها وهو خروجها من بيتها. اهـ من «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري رحمه الله (1/ 228).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» أخرجه مسلم (17/ 189-190).

قال الحافظ النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا».

هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع هذان الصنفان ، وهما موجودان . وفيه ذم هذين الصنفين قيل : معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها ، وقيل: معناه تستر بعض بدنها ، وتكشف بعضه إظهارا بحالها ونحوه ، وقيل : معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها .

وأما «مائلات» فقيل : معناه عن طاعة الله ، وما يلزمهن حفظه .

«مميلات» أي: يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل : مائلات يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمشطن المشطة المائلة، وهي مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

ومعنى «رءوسهن كأسنمة البخت» أن يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوهما. ا'

وفتنة النساء أضر ما تكون على الرجال، كم ضاع وماع وانتكس من أناس وفسدت قلوبهم بسبب فتنة النساء، فالاختلاط بين الجنسين أشد ما يتضرر به الرجال لما علم من ميولهم ورغبتهم في النساء، والله المستعان.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» وأخرجه البخاري رقم (5096)، ومسلم (17/ 54).

يا ليت شعري ماذا يقول الفراكسة الاختلاطيون وغيرهم من دعاة الفساد والاختلاط في هذا الحديث، وما موقفهم الشرعي الصحيح منه، وهل له موقع في عقولهم، إن كان لكم عقل سليم لم يتلوث بفتنة النساء، ولم يشوبه شيء من ذلك، حصل منهم جواب سليم سديد صحيح.

وما إخال النساء إلا قد سيطرن على عقولكم، وغلبن قلوبكم عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا

نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ» أخرجهما مسلم (2/ 65-68).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري رقم (304)، ومسلم (2/ 66-68): «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحداكن» الحديث.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أذهب» أي أشد إذهاباً، واللب أخص من العقل وهو الخالص منه، والحازم الضابط لأمره، وهذا مبالغة في وصفهن بذلك؛ لأن الضابط لأمره إذا كان ينقاد لهن فغير الضابط أولى. اهـ من «الفتح» (1/ 484).

إذن المرأة في الإسلام وعند عباد الله الصالحين الناصحين الغيورين معززة مكرّمة، وعند دعاة الفساد والاختلاط مهانة ممتهنة.

إذ لوكانت عندهم مكرّمة مشرفة لحافظوا عليها وعلى كرامتها وشرفها، ولصانوا عرضها عن سفلة الناس وسقطهم ولنظروا إليها بمثل ما ينظرون إلى محارمهم، فكما أنهم لا يرضون لمحارمهم هذه الخُلطة القبيحة، فالواجب عليهم أن لا يرضوا ذلك لغيرهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أخرجه البخاري برقم (13)، ومسلم (16-17).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى له» أخرجه مسلم (12/ 232-235) ضمن حديث.

قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى: هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وبديع حكمه ، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها ، وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه. اهـ

فعلينا جميعاً أن نتقي الله عز وجل في إماء الله ونساء المسلمين؛ فإنهن أسيرات ضعيفات رقيقات.

عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ، يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَعْنِي النِّسَاءَ.

وفي رواية: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَادٍ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لَا تَكْسِرْ الْقَوَارِيرَ» قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ. أخرجه البخاري (6210و6211)، ومسلم (15/ 79-81).

ولضعفهن أوصى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهن خيرًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ» أخرجه البخاري (3331)، ومسلم (10/ 57-58).

وقد ألحق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الضيق والحرج بمن ظلمهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ» أخرجه ابن ماجه برقم (3678).

الحرج في الأصل: الضيق، ويقع على الإثم والحرام، أي: أضيقه وأحرّمُه على من ظلمهما. اهـ من «النهاية».

ومن ظلمهن: الزج بهن بين أوساط الرجال الأجانب.

وعلينا أن نحافظ على هذه القلوب، ونسعى في صلاحها وطهارتها ونقاوتها، وأعظم دواء لهذه الأمراض الفتاكة هو الاستجابة لأمر الله عز وجل ولأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أن عدم الاستجابة لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم سبب أن الله يحول بينك وبين قلبك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهَّ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال : 24].

قال العلامة السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص296): ثم حذر عن عدم الاستجابة للهّ وللرسول فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، فإياكم أن تردوا أمر اللهّ أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن اللهّ يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك. اهـ

- فصلاح القلوب من أعظم مقاصد الشريعة أيها المتفلسفون.

- ومن مقاصد الشريعة اعتزال مجالس الخنا والزور، والإعراض عنها وعن أهلها، والقصد من ذلك حتى لا يصاب بجرب دعاة الخنا، والمجون والعهر والكذب والزور، واختلاط الجنسين من مجالس العهر والفجور.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان : 21].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم : 29].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء : 140].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : 68].

ومن صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص : 55].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. [الكهف : 28].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» أخرجه البخاري رقم (4547)، ومسلم (16/ 216-217).

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قَالَ» أخرجه أبو داود رقم (4319).

وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ: «من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما استطاع، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب ، أنه مؤمن ، فما يزال به حتى يتبعه مما يرى من الشبهات».

الحديث صححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله تعالى في «الصحيح المسند» (2/ رقم1019).

قال الإمام ابن بطة رحمه الله في «الإبانة» (1/ 154-155): هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق ، فالله الله معشر المسلمين ، لا يحملن أحدا منكم حسن ظنه بنفسه ، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء ، فيقول : أداخله لأناظره ، أو لأستخرج منه مذهبه ، فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ، ويسبونهم ، فجالسوهم على سبيل الإنكار ، والرد عليهم ، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ، ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم. اهـ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» أخرجه البخاري (2101)، ومسلم (16/ 178).

المبتدع يحرق قلبك بالشبهات، والاختلاطي يحرق قلبك بالشهوات، ومجالس الاختلاطيين يخشى عليها من لعنة الله ذلك لأنهم في منكر، ولا يتناهون عنه.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة : 78 ، 79].

ومن الأمور المقصودة شرعاً الحفاظ على الأنساب، وعدم اختلاط بعضها ببعض، ومن أعظم وسائل اختلاط الأنساب هو اختلاط الجنسين من الرجال والنساء، وقد تقدم بعض الأدلة في ذلك منها الخلوة بالمرأة الأجنبية.

فأين أنتم من هذه المقاصد يا من تزعمون أنكم أهل أصول ومعرفة بأحكام المصالح والمفاسد.

- ومن الأمور المقصودة شرعاً الاهتمام برعاية الأبناء ونشأتهم نشأة صالحة من ذلك: تحذيرهم من طرق الشر وإرشادهم إلى طرق الخير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علموا أهاليكم الخير. رواه الحاكم موقوفاً، وقال: صحيح على شرطهما. اهـ من صحيح «الترغيب والترهيب».

ومن ذلك تعليمهم بأن يحفظوا حدود الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ

كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي رقم (2516) وقال: هذا حديث صحيح.

وقال شيخنا رحمه الله: هو حديث صحيح لغيره. «الصحيح المسند» (1/ رقم685).

ومن ذلك الصبر على تربية الأولاد، وعلى الإحسان إليهم لا سيما البنات عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ» أخرجه البخاري رقم (1418)، ومسلم (16/ 179).

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله عليه وسلم: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، فأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار».

أخرجه ابن ماجه رقم (3669)، والإمام أحمد (4/ 154)، وأبو يعلى (3/ 299)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (2/ رقم939).

ومن ذلك الاهتمام بنشأتهم نشأة صالحة، وفائدة ذلك تعود إلى الأب من جهة، وإلى الابن من جهة أخرى.

أما عودها إلى الأب فإن الابن الصالح يدعو له بعد موته.

عن أبي هريرة رضي الهإ عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» أخرجه مسلم (11/ 84-85).

وأما عودها إلى الابن، فإن الابن الصالح الذي ينشأ على طاعة الله يكون في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منها: «وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ» أخرجه البخاري رقم (660)، ومسلم (7/ 120-123).

ومن ذلك تعويدهم على الطاعة، والتفريق بينهم في المضاجع حتى لا يحصل اختلاط بينهم.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

قال الحافظ النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» رقم (308): حديث حسن، رواه أبو داود رقم (495) بإسناد حسن.

ومن ذلك تعويدهم على ترك الحرام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كخ كخ، ليطرحها ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة» أخرجه البخاري (1491)، ومسلم (7/ 175-176).

ومن ذلك دعاء الله لهم بأن يجنبهم الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 35-36].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» أخرجه البخاري رقم (141)، ومسلم (10/ 5).

ومن ذلك: الدعاء لهم بأن يكونوا عند الله مرضيين وأن يهب له ذرية، طيبة.

قال تعالى: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 1-6].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38].

ومن ذلك: الدعاء بأن يقر الله عين والديه بولدهما.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

ومن ذلك: تربيتهم على الأخلاق الحميدة كالإستئذان وغيره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 58-59].

ومن ذلك: الإهتمام برعايتهم والنصح لهم.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» أخرجه البخاري رقم (893)، ومسلم (12/ 213-214).

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» أخرجه البخاري رقم (7150)، ومسلم (12/ 214-215).

وهذه وصايا نافعة ذكرها الله تعالى عن لقمان رحمه الله حين أوصى ولده بوصايا عظيمة النفع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 12-19].

وغير ذلك من مقاصد الشريعة اتجاه هؤلاء الأولاد، وما ذلك إلا لعظم شأن هذا الأمر إذ أن الطفل إذ نشأ نشأة صالحة نفعه الله ونفع به قومه ومجتمعه هذا ما لم يتلوث بفكر دعاة الفساد والإختلاط، ولم يتأثر بهذا الداء الشيطاني الشهواني، فإن سلم فذاك، وإن لم يسلم فكبر على فساد قلبه وانتكاسة استقامته أربعًا، ويصير قلبه بعد ذلك معلقًا بالنساء بعد أن كان معلقًا بالمساجد اللهم سلِّم.

ومن مقاصد الشريعة المحمودة: الحياء هذا الخلق العظيم الذي من تحلَّى به كان على خير عظيم إذ أن الحياء خير والحياء لا يأتي إلا بخير، كما صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (6117)، ومسلم (2/ 6-8).

والحياء من علامات كمال إيمان العبد إذ هو والإيمان مقترنان، والحياء في الجنة وهو من شعب الإيمان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء والإيمان قرنا جميعًا؛ فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» أخرجه الحاكم (1/ 22)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (1/ رقم 752).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار» أخرجه الترمذي رقم (2009)، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (2/ رقم1428).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحياء شعبة من شعب الإيمان» أخرجه البخاري رقم (9)، ومسلم (2/ 3-6).

والمرأة العذراء أشد حياء؛ فإذا خرجت المرأة من بيتها واختلطت بالرجال قل حياؤها، وضعف إيمانها وهكذا قُلْ في الرجال.

فالاختلاطيون من أقل الناس حياءً، ومن ضعف حياؤه وقلَّ لم يبال بما صنع.

عن أَبي مَسْعُودٍ عقبة بن عمرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» رواه البخاري (3483).

والاختلاط ليس من الحياء بشيء إذ أن من كان حييًا منعه هذا الخلق العظيم من ارتكاب مثل هذا الخلق الذميم، إذ أن الحياء خير والخير لا يأتي إلا بخير، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري رقم (2842)، ومسلم (7/ 140 - 144).

ومن مقاصد هذه الشريعة الحسنة: أن المرأة تنكح لأربع وأعظم هذه الأربع دينها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» أخرجه البخاري رقم (5090)، ومسلم (10/ 51).

فإذا خرجت المرأة من بيتها واختلطت بالرجال نفر من نكاحها كثير من الصالحين، وانقبضت قلوبهم منها واشمزأت.

ومن مقاصد هذه الشريعة: نشر المودة والألفة بين المسلمين حسب ما يقتضيه الشرع الحنيف.

والاختلاط بين الجنسين يناقض هذه المحاسن أشد المناقضة ويناهضها أشد المناهضة، إذ أن بسبب هذا المنكر يحصل من الشر بين المسلمين ما الله به عليم، من

الفرقة والشحناء والبغضاء والتدابر والتقاطع، وربما آلى الأمر إلى التناحر وسفك الدماء.

والاختلاطيون مبتلون وليسوا بمعافين إذ أن الاختلاط مجاهرة بالمعصية والمجاهر ليس بمعافى.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُّ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهَّ عَنْهُ» أخرجه البخاري رقم (6069)، ومسلم (18/ 119).

ومن مقاصد الشريعة: اعتزال مواضع الشيطان؛ لأنها سبيل الغفلة وتسلط الشيطان على العبد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: عَرَّسْنَا مَعَ نَبِيِّ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ نَسْتَيْقِظْ حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْسِ رَاحِلَتِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلٌ حَضَرَنَا فِيهِ الشَّيْطَانُ»، قَالَ: فَفَعَلْنَا، ثُمَّ دَعَا بِالْمَاءِ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: ثُمَّ صَلَّى سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْغَدَاةَ. رواه مسلم (5/ 183).

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ» قَالَ: أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ» قَالَ: أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «لَا». أخرجه مسلم (4/ 48).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: «لا تصلوا في مبارك الإبل؛ فإنها من الشياطين» أخرجه أبو داود رقم (184) وغيره، وصححه شيخنا رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم142).

وفي حديث عبدالله بن المغفل رضي الله عنه: «لا تصلوا في أعطان الإبل؛ فإنها خلقت من الشياطين» أخرجه ابن ماجه رقم (769)، وهو في «الصحيح المسند» (1/ ص674).

قال الحافظ النووي رحمه الله تعالى: والنهي عن مبارك الإبل وهي أعطانها، نهي تنزيه وسبب الكراهة ما يخاف من نفارها وتهويشها على المصلي، والله أعلم. اهـ

قوله صلى الله عليه وسلم: « فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلٌ حَضَرَنَا فِيهِ الشَّيْطَانُ » فيه دليل على استحباب اجتناب مواضع الشيطان وهو أظهر المعنين في النهي عن الصلاة في الحمام. أفاده الحافظ النووي رحمه الله.

وعلى هذا فمستنقع الاختلاطيين قد باض فيه الشيطان وفرَّخ ونصب فيه رايته، فوجب اعتزاله واجتنابه.

إن الاختلاطيين دعاة الشر والفساد وجودهم بين الأمة ليسبب لها بلاء ووباء وهم وغم وذهابهم راحة للأمة وطمأنينة.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ؛ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ» أخرجه البخاري رقم (6512)، ومسلم (7/ 20-21).

ومن مقاصد هذه الشريعة العظيمة: الغيرة على محارم الله تعالى، والغضب من انتهاكها، والغيرة على محارم الله من أن تنتهك ليدل دلالة واضحة على نزاهة وشرف ورجولة هذا الغيور وشهامته وقوة إيمانه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا؛ فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا. أخرجه البخاري رقم (3560)، ومسلم (15/ 83-84).

ومن عظمت محبته لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عظمت غيرته على محارم الله تعالى.

المسلم الصادق الغيور تدفعه غيرته على إنكار المنكرات، والبعد عنها، والتحذير منها.

يغضب لغضب الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويغار لغيرة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ».

وفي رواية: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرًا» أخرجه البخاري رقم (5223)، ومسلم (17/ 78-79).

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ» أخرجه البخاري رقم (1044)، ومسلم (6/ 200-201) ضمن حديث.

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عَنْهُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؛ فَوَاللهَّ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُّ أَغْيَرُ مِنِّي مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهَّ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللهَّ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللهَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُّ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُّ الْجَنَّةَ» أخرجه البخاري رقم (7416)، ومسلم (10/ 131-132).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عند مسلم (10/ 131) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا ما يقول سيدكم[٣] أنه يغور وأنا أغير منه، والله أغير مني».

هذا هو شأن ذوي المروءة والشهامة أنهم يغارون على حرماتهم وحرمات المسلمين ولا يرضون بالدياثة ولا البرودة ولا التمييع، رجال صدق تجد الواحد منهم إذا رأى ما يغضب الله عز وجل يفور دمه ويحمر وجهه كأنه حبة رمان، غضبًا لله تعالى ولحرمات الله عز وجل.

صاحب الغيرة لا يرضى لأحد أن ينظر إلى حرماته أو يتطلع عليهم؛ فإن غيرته وفطرته السليمة تأبى ذلك بشدة.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى[٤] يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ» أخرجه البخاري رقم (6241)، ومسلم (14/ 136-137).

---

(٣) يعني: سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٤) المدرى: حديدة كالمشط.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ حُجْرٍ فِي بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ أَوْ بِمَشَاقِصَ، فكأني لأنظر إليه يَخْتِلُهُ لِيَطْعُنَهُ».

وفي رواية: أن رجلاً اطلع في بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فسدد إليه مشقصًا. أخرجه البخاري رقم (6242و6889)، ومسلم (14/ 137-138).

قوله: «يختل» قال الحافظ ابن الأثير رحمه الله: والختل أي: الخداع ثم ذكر الحديث، وقال: أي يُداوره ويطلبه من حيث لا يشعر. اهـ

هذا هو شأن الغيور لا يهدأ له بال ولا تطمئن له نفس حتى ينتقم لحرمات الله.

ولما كان المتطلع على عورات وحرمات المسلمين هيِّن على الله تعالى، كان جزاؤه أن تفقأ عينه ولا دية له ولا كرامة، ومن يهن الله فما له من مكرم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ؛ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ» أخرجه البخاري رقم (6888و6902)، ومسلم (14/ 138).

فكيف تطيب نفسك أن تجعل محرمك بين أوساط الرجال وهم ينظرون إليها من كل حدب وصوب يكاد أحدهم أن تخرج عيناه من الحدقة من شدة ما ينظر إلى محرمك، وأنت أيها المغفل في نوم عميق وفي برودة شديدة، ضعف عندك الإحساس، وضعفت عندك الغيرة، ولربما جاءك البشير ويبشرك بأن أبنتك أو أختك قد جاءت بولد، ويبارك لك فيه، وبعد ذلك يلحقك العار حتى تموت، والسبب في ذلك ضعفت غيرتك على محارمك.

إن اختلاط النساء بالرجال ليدل على ضعف غيرة ولي المرأة، وأن الفراكسة الاختلاطيون وغيرهم من دعاء الشر والفساد قليلوا الغيرة، ذلك لأنهم في مكان الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؛ فلو كانت عندهم غيرة وحمية وانتقام

لحرمات الله وحرمات المسلمين لما طابت أنفسهم يجلسون ولو لحظة سيرة بين هؤلاء الفسقة من الرجال والنساء.

وأن اختلاط الجنسين الرجال والنساء ليذهب الغيرة والحمية بين الرجال والنساء وأولياء الأمور.

وأن الاسترسال والتمادي بمثل هذه الفتاوى الشيطانية الشهوانية لتجعل الغيرة تضحمل من الشخص شيئا فشيئا حتى يصير كالخنزير والعياذ بالله.

وربما بلغ به الأمر إلى أن يصل إلى الدياثة فينقل الخبث في أهله ويرضى به وليبشر بهذا الوعيد الشديد.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى» أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع».

الديوث: هو الذي لا يغار على أهله. اهـ من «النهاية».

والبيت المسلم في الإسلام مصانة له شأن وأحكام.

ولا يجوز انتهاك حرمته والنظر فيه، ولهذا شُرع الإستئذان والعلة في ذلك حتى لا يتجاوز المرء بصره في النظر إلى حريم البيت، فقد جاء في «الصحيحين» عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ» وقد تقدم.

ومن تأمل في آية الإستئذان من سورة النور يرى أن الله تعالى ذكر عقبها الأمر بحفظ الأبصار وحفظ الفروج، وما ذلك إلا أن النظر في بيوت الناس مدعاة لانتهاك حرمة البيوت.

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في «تفسيره» (ص537): يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد: منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال " إنما جعل الاستئذان من أجل البصر " فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حَتَّى يَسْتَأْنِسُوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئذان استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة. اهـ

ولذلك كان من السنة إذا جاء أحد إلى بيت أخيه أن يقف في أحد جانبي الباب إما اليمين أو الشمال ولا يقف أمام الباب، لئلا يقع بصره على حريم البيت.

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلْ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ».

أخرجه أحمد (4/ 189-190)، وأبو داود رقم (5186) واللفظ له، وصححه العلامة الألباني رحمة الله عليه.

ولما كان الساقط الفاجر الذي يتطلع على بيوت المسلمين وحرماته كان جزاء هذا النذل الخسيس أن تفقأ عينه ولا جناح على فقأها كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم.

فحفظ البصر عن حرمات المسلمين أمر ليس بالهين ولقد حذر منه الإسلام غاية التحذير وما ذلك إلا لعواقبه الوخيمة ومن أعظمها فساد القلب وانتكاست الفطرة.

أما الفراكسة الشهوانيون وغيرهم من دعاة الفساد والإختلاط لا يلقون أهمية لمثل هذا القيم والمُثُل العالية؛ لأنها تتعارض معهم تمامًا؛ ولأن مرض حب النساء وحب الاختلاط بهن وحب النظر إليهن والفرح بلقاءهن لا يتلاءم مع هذه الأخلاق العالية السامية النزيهة.

فعشاق النساء هذه المحاسن تعكر عليهم الجو ولذلك تراهم يحاولون يلتمسون الشبه والزلقات عساهم أن يجدوا ما يوافق مرض قلوبهم والله المستعان، ونسأل من الله العافية وأن يكرمنا بالسنة ظاهرًا وباطنًا حتى نلقاه.

وكل ما كان مشغلاً للقلب عن طاعة الله تعالى ويكون سببًا لتعلق القلب به وسببًا للغفلة واجب إزالته وتنحيته حتى يسلم القلب ويكون قلبًا خالصًا لله تعالى سليمًا من كل ما يشوش عليه.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ؛ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي» أخرجه البخاري رقم (373)، ومسلم (5/ 43-44).

قال الحافظ الطيبي رحمه الله: (فيه إيذان بأن للصور والأشياء الظاهرة، تأثير في القلوب الطاهرة، والنفوس الزكية يعني فضلاً عمن دونها. اهـ من «الفتح» (1/ 577).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكِ هَذَا، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ فِي صَلَاتِي» أخرجه البخاري رقم (374).

والاختلاط بين الجنسين من أسباب انتشار وإشاعة الفاحشة بين الناس مما يؤدي إلى حصول أمراض وأوجاع وأسقام في هذه الأمة الضعيفة المرحومة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور : 19].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ، الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» أخرجه ابن ماجه رقم (4019) وغيره، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع»، وانظر «الصحيحة» رقم (106).

ومن دواعي مصافحات النساء الأجنبيات اختلاط الجنسين، ومصافحة النساء الأجنبيات لها تأثير عظيم على فساد قلوب الجنسين المختطلين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها»، وفي رواية: «لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط» أخرجه البخاري رقم (4891)، ومسلم (13/ 10-11) ضمن حديث.

وعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إني لا أصافح النساء، وإنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة» أخرجه الإمام أحمد رقم (6357)، والترمذي رقم (1597)، والنسائي (8/ 149)، وابن ماجه (2874) ضمن حديث، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (2/ رقم1531).

ولقد جاء النهي الشديد عن مصافحة المرأة الأجنبية أخرج الحافظ الطبراني (20/ رقم 486-487) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمة الله عليهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له».

هذا ومن الأمور المقصودة شرعاً وجوب ستر العورة، وتحريم كشفها والنظر إليها إلا لحاجة شرعية اقتضت ذلك إذ أن التساهل في مثل هذا الخلق الذميم والفعل القبيح ذريعة إلى الوقوع في فاحشة وجريمة الزنا والعياذ بالله تعالى.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ» رواه مسلم (4/ 30).

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحْمِلُهُ ثَقِيلٍ وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ قَالَ: فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الْحَجَرُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ، حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ، وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً» رواه مسلم (4/ 34-35).

عن سليمان بن زياد الحضرمي، أن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه حدثه أنه مر وصاحب له بأيمن وفئة من قريش قد حلوا أزرهم، فجعلوها مخاريق يجتلدون بها، وهم عراة قال عبد الله: فلما مررنا بهم قالوا: إن هؤلاء قسيسون فدعوهم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج عليهم، فلما أبصروه تبددوا فرجع رسول الله صلى الله عليه و سلم مغضباً حتى دخل وكنت أنا وراء الحجرة فسمعته يقول: «سبحان الله لا من الله استحيوا ولا من رسوله استتروا»، وأم ايمن عنده تقول: استغفر لهم يا رسول الله، قال عبد الله: فبلأي ما استغفر لهم قال عبد الله: وسمعته أنا من هارون.

أخرجه الإمام أحمد رقم (4/ 191)، وأبو يعلى (3/ 109)، والبزار كما في «كشف الأستار» (2/ 429)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم 564).

ومن ذلك أنه شرع وجوباً الابتعاد عن الناس والتستر عند قضاء الحاجة في أحاديث كثيرة مشهورة معلومة.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياءً من العذراء في خدرها كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. أخرجه البخاري رقم (6102)، ومسلم (15/ 77-78).

وكان حريصاً أشد الحرص من أن ترى وتكشف عورته صلى الله عليه وسلم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ حِجَارَةً فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ مِنْ الْحِجَارَةِ، فَفَعَلَ فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ».

وفي رواية: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ قَالَ: فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَانًا» أخرجه البخاري رقم (364)، ومسلم (4/ 33-34).

عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: لَمَّا بُنِيَ الْبَيْتُ كَانَ النَّاسُ يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ، فَأَخَذَ الثَّوْبَ فَوَضَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَنُودِيَ: لَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ، فَأَلْقَى الْحَجَرَ وَلَبِسَ ثَوْبَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية: وَذَكَرَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ فَيُرَى عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ خَمِّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يُرَى عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ.

أخرجه عبدالرزاق (1/ 286)، والإمام أحمد (5/ 454و455)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (3/ ص993) وحسنه شيخنا رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (1/ رقم 532).

وهكذا كان نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام حيياً ستيراً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا، أَوْ أَرْبَعًا، أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾» أخرجه البخاري برقم (3404)، ومسلم برقم (770و6146).

وأعظم باعث إلى حفظ العورة وصيانتها هو الحياء، فإذا فقد الحياء لم يبال الشخص ولم يحرص على أن يحفظ ويصون فرجه عن المحرمات.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي، وَالْحَمْدُ للهِ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» رواه الإمام أحمد (1/ 387)، والترمذي برقم (2458) وحسنه الألباني رحمه الله، وغيرهما.

وفي البخاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

والاختلاط بين الجنسين ذريعة إلى كشف العورات والتقاء البشرتين على فاحشة وجريمة الزنا، اللهم سلمنا يا كريم.

وتأمل في حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم في النهي أن يلتحف الرجل مع الرجل بثوب واحد، وكذا المرأة مع المرأة، وما ذلك إلا لسد ذريعة الوقوع في فاحشة الزنا الذي من أعظم أسبابها هذا الاختلاط وهذا التقارب، فيا ليت الفراكسة الاختلاطيين وغيرهم من دعاة الفساد والاختلاط تحلوا بمكارم الأخلاق، وتنزهوا عن مساوئها.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس خلقاً، وقد امتدحه الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : 4].

وكان صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يحسن خلقه ويهديه إلى أحسن الخلاق، ويدعوه أن يجنبه مساوئها وهو رسول الله عليه وسلم.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا، إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ، وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...» أخرجه مسلم رقم (1812).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي» أخرجه الإمام أحمد (6/ 68)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» رقم (1540).

عن قطبة ابن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء» رواه الطبراني في الدعاء، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله.

ولما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان خلقه القرآن» أخرجه مسلم برقم (1739).

قال الحافظ ابن الأثير رحمه الله: أي كان متمسكاً بآدابه وأومره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن واللطائف. اهـ

فالقرآن خير هاد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : 9].

وهو شفاء الأمراض القلوب من زيغ وشرك ونفاق وشبهة وشهوة، وبدعة وحزبية وشحاذة، وتلون وتميع، وغلو وتكهن وشذوذ وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء : 82].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : 57 ، 58].

ومن مقاصد الشرع الحنيف سد ما كان مداعاة لإيثارة الشهوة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ(٥) قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ قَالَ: فَقَالَ: هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفْ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: فَانْزِلْ، قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا» أخرجه البخاري برقم (1285).

قوله صلى الله عليه وسلم: «هل منكم رجل لم يقارف الليلة» القراف: هو الجماع. انظر «النهاية».

---

(٥) أي على شفيره كما في رواية أبي داود الطيالسي برقم (2230).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (3/ 189): وعلل ذلك بعضهم بأنه حينئذ يأمن من أن يذكره الشيطان بما كان منه تلك الليلة، وقال قبل ذلك: وفيه أي هذا الحديث .....: وإيثار البعيد العهد عن الملاذ في مواراة الميت ولو كان امرأة على الأب والزوج. اهـ

في «المغني شرح مختصر الخرقي» (2/ 377-378): مسألة: قال: (والمرأة يخمر قبرها بثوب) لا نعلم في استحباب هذا بين أهل العلم خلافًا، وقد روى ابن سيرين ، أن عمر كان يغطي قبر المرأة، وروي عن علي أنه مر بقوم قد دفنوا ميتا ، وبسطوا على قبره الثوب ، فجذبه وقال : إنما يصنع هذا بالنساء، وشهد أنس بن مالك دفن أبي زيد الأنصاري فخمر القبر بثوب فقال عبد الله بن أنس : ارفعوا الثوب ، إنما يخمر قبر النساء ، وأنس شاهد على شفير القبر لا ينكر، ولأن المرأة عورة ، ولا يؤمن أن يبدو منها شيء فيراه الحاضرون ، فإن كان الميت رجلا كره ستر قبره، لما ذكرنا، وكرهه عبد الله بن يزيد ولم يكرهه أصحاب الرأي وأبو ثور والأول أولى ؛ لأن فعل علي رضي الله عنه وأنس يدل على كراهته ، ولأن كشفه أمكن وأبعد من التشبه بالنساء ، مع ما فيه من اتباع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ

وأعظم ما يثير الغرائز الشهوانية ويهيج النفوس الشيطانية: هو اختلاط الجنسين من الرجال والنساء.

والشاب العفيف الذي يريد أن يعف نفسه بالزواج إذا لم يجد فخير علاج له الإكثار من الصوم مع كثرة الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يفتح عليه وييسر له زوجة صالحة تعينه على طاعة الله تعالى.

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ

يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» أخرجه البخاري رقم (5065)، ومسلم برقم (3398).

وهذا عام يشمل الرجال والنساء، والمقصود من الصيام أنه يقلل من حدة الشهوة، ويجعل العبد مشغولاً بطاعة الله تعالى.

فكيف يعمل الفراكسة الاختلاطيون بمثل هذا الحديث؛ فإنهم لا ينفعهم الصوم ولو صاموا صوم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام أذ أن المقصود من الصيام القرب من الله تعالى والبعد عن موارد وأفكار ووساوس الشيطان، وأما وهم على هذه الحالة المزرية؛ فإنهم يزدادون بعدًا عن طاعة الله تعالى، ويزدادون قربًا من الشيطان ومن خطواته؛ فهل من مدكر.

ومن الأمور المقصودة شرعًا: أن المتلوثين بالمعاصي الظاهرة ليس لم حق في التصدر وفي تولية الأمور العامة كالافتاء وشؤون الدعوة وتحمل أعباءها وغير ذلك؛ فإن من شأنهم أن يكونوا في المؤخرة إذ أن مثل هذه المقامات الشريفة لا يتولاها إلا من كان من أهل الصدق والصلاح والعفة والصيانة والديانة، فالإمامة في الدين لها شأن عظيم ولا تكن إلا لعباد الله تعالى الصالحين الصادقين المتقين.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 63-77].

فأين الفراكسة الاختلاطيون وغيرهم من دعاة الفساد، الاختلاط من هذه القيم الحميدة والأخلاق المجيدة؛ فإن أوصاف عباد الرحمن هذه يستحقون بها أن ينالوا إمامة المتقين.

أما غيرهم من ذوي الفسق والمجون والعهر والفجور فشأنهم في آخر الصفوف.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمْ اللهُّ» أخرجه مسلم برقم (982).

وليسوا لهم حقًا في إمامة المتقين ولو كانوا من حفاظ القرآن الكريم.

عَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ أَحْمَدُ: مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ، وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَغَ: «لَا يُصَلِّي لَكُمْ»؛ فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «نَعَمْ وَحَسِبْتُ» أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّكَ آذَيْتَ اللهَّ وَرَسُولَهُ» أخرجه أبو داود برقم (481)، وذكره العلامة الألباني رحمه في «صحيح الترغيب والترهيب».

النبي صلى الله عليه وسلم منع الرجل من أن يصلي بالناس بسبب أنه بصق في القبلة، فكيف الشأن بمن كان حاله المكث الطويل مع النساء والاختلاط بهن، أليس هذا من باب أولى أيها المتطفلون.

بل يخشى على صلاتهم من عدم القبول إذ أن من الصالحين الصادقين الغيورين يبغضون أمامة من ذا حاله.

عن أَبَي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ آذَانَهُمْ: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ» أخرجه الترمذي رقم (360)، وهو في «الصحيح المسند» (1/ رقم487).

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم آخر مبايعة رجل بيعة الإسلام، بسبب أن في يده أثرًا من خلوق.

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: أتي النبي صلي الله عليه وسلم قوم يبايعونه وفيهم رجل في يده أثر خلوق؛ فلم يزل يبايعهم ويؤخره ثم قال: «إن طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه» أخرجه البزار، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله.

الخلوق: طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة .....، وإنما نهى عنه؛ لأنه من طيب النساء وكنا أكثر استعمالاً له منهم. اهـ المراد من «النهاية» باختصار.

وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة رجل بسبب أنه مس كشح امرأة أي: خصرها حتى تاب إلى الله تعالى.

عن أبي شهم رضي الله عنه قال: مرت بي جارية بالمدينة؛ فأخذت بكشحها، قال: وأصبح الرسول يبايع الناس -يعني: النبي صلى الله عليه وسلم- قال: فأتيته؛ فلم يبايعني، فقال: «صاحب الجبيذة الآن» قال: قلت: والله لا أعود، قال فبايعني.

وفي رواية: «كنت رجلا بطالاً، قال: فمرت بي جارية في بعض طرق المدينة إذ هويت إلى كشحها؛ فلما كان الغد قال: فأتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعونه؛ فأتيته فبسطت يدي لأبايعه فقبض يده، وقال: «أحسبك صاحب الجبيذة يعني: أما إنك صاحب الجبيذة أمس»، قال: قلت: يا رسول الله بايعني فوالله لا أعود أبدًا، قال: «فنعم إذاً». أخرجه الإمام أحمد (5/ 294)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه في «الصحيح المسند» (2/ رقم1233).

وما كان عهد الله تعالى وولايته تنال من كان هذا حاله، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

فحريٌ بكم أيها الفراكسة الاختلاطيون وغيركم من دعاة الفساد والاختلاط أن تلزموا الحدَّ الشرعي وأن لا تتجاوزوه وأن تعرفوا قدر أنفسكم وأن لا تقحموا أنفسكم فيما لا يعنيكم ولا يهمكم إذ أن البيوت يجب أن تؤتى من أبوابها ومن دخل بيتًا ليس له لا حرج على أهل البيت أن يفقؤ عينه، وأن يسحبوه حتى يخرجوه إلى خارج البيت ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

ومن الأمور المقصودة شرعًا إباحة الإسلام نظر الرجل إلى المرأة إذا أراد خطبتها، حتى يتم المقصود من الزواج وهو الأنس والألفة بين الرجل والمرأة، ويرضى كل واحد منهما بالآخر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؛

فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا؟» قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ» قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ. أخرجه مسلم برقم (3486).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ»، قَالَ: فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَزَوَّجْتُهَا؛ فَتَزَوَّجْتُهَا. أخرجه أبو داود (2082)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا» أخرجه الترمذي (13) برقم (1087) وقال: هذا حديث حسن.

وفي الباب عن سهل بن سعد رضي الله عنه عند البخاري برقم (5087)، ومسلم برقم (3487)، والنظر إنما يكون لقصد الخطبة ليس غير ذلك.

عن أبي حميد أو أبي حميدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها، إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم» أخرجه الإمام أحمد (5/ 424) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

قال شيخنا الكريم رعاه الله ومتع به في رسالته المفيدة «فتوى في حكم الدراسة الاختلاطية» (ص9): ففي هذين الحديثين[٦] دلالة على أنه يشرع محاولة النظر لقصد

---

(٦) يعني: حديثي أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم المتقدمين.

الزواج وأصحاب الاختلاط يمتعون أبصارهم الخائنة بإطلاق النظر فيما حرم الله بما لا مبرر له من الشرع. اهـ

وواجب عليك يا عبد الله أن تحذر أشد الحذر من فتنة النساء؛ فإن فتنهن فتنة لكل مفتون، وربما كانت فتنتهن فساد أمة من الأمم، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد تقدم.

ولقد كانت المرأة تمر بالمجلس من مجالس بني إسرائيل فتحرك خاتمها فينبعث منه ريح المسك؛ لأجل أن تفتن الرجال.

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ؛ فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ؛ فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ: بِيَدِهَا هَكَذَا -وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ-» أخرجه مسلم برقم (5881).

وأخرجه أحمد (3/ 40و46) ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدنيا فقال: «إن الدنيا خضرة حلوة؛ فاتقوها واتقوا النساء، ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل: امرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف؛ فاتخذت رجلين من خشب، وصاغت خاتمًا فحشته من أطيب الطيب المسك، وجعلت له غلقًا؛ فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس، قالت به ففتحته ففاح ريحه، قال المستمر: بخنصره اليسرى فأشخصها دون أصابعه الثلاث شيئًا وقبض الثلاثة».

ومن كثرة ما كان يحصل منهن من الزينة والطيب وحسن الثيان منعن المساجد، كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها وقد تقدم.

وإنما منعن لئلا يفتن الرجال في مساجدهم، فدل على عظم خطورة فتنة النساء، ومن أجل ذلك اشتد تحذير النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فتنة النساء.

وأشد ما يحصل من الفساد بين الرجال والنساء في مجالس الاختلاط.

فإن الرجال يفسدون النساء ويفجرون بهن أشد من فساد الذئبين الجائعين إذا أرسلا في زريبة غنم.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خشى على أمته وخاف عليها من بطونها وفروجها ومضلات الأهواء.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن».

وفي رواية: «ومضلات الهوى» أخرجه الإمام أحمد (420و423).

فالحذر كل الحذر من مضلات الهوى وشهوات الغي في الفروج والبطون، إذ أن التساهل في مثل هذه الأمور ليجعل العبد في طغيان شديد ويهلك في واد سحيق.

فواجب على أولياء الأمور أن يحرصوا غاية الحرص إلى الحفاظ على أولادهم ذكرهم وأناثهم؛ فإنكم مسئولون عنهم يوم القيامة وهم أمانة في أعناقكم.

علموهم الخير ودلوهم على طرقه وعلى آهله الناصحين الصادقين الغيورين؛ فإن ذلك من نصحكم لهم.

وحذروهم من الشر ومن طرقه وأهله الخونة الفسقة من دعاة الاختلاط والفساد ودعاة الضلال من الحزبيين وغيرهم.

فإن هؤلاء كلهم يعتبرون من دعاة جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

والداعية الموفق من كان مقتديًا ومتأسيًا في دعوته بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[الممتحنة: 6].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (3/ 457): هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. اهـ المراد.

قال العلامة السعدي رحمه الله (ص630): فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى اللهّ عليه وسلم، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللهّ، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو اللهّ، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف اللهّ، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى اللهّ عليه وسلم. اهـ

وكان الشأن كل الشأن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدل أمته إلى كل خير يعلمه لهم ويحذرهم من كل شر يعلمه لهم.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي،

ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ؛ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ» أخرجه مسلم برقم (4776).

من ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يبغض للناس المعاصي.

عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: أن فتى شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه! مه! فقال: «أدنه» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

أخرجه الإمام أحمد (5/ 256)، وصححه شيخنا الإمام رحمه الله في «الصحيح المسند» (1/ رقم500)، وقال عقبة: وياله من موعظة وتوجيه للدعاة إلى الله.

هذا هو الفقه بعينه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر» أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» رقم (45)، والدارمي في «المقدمة» (305)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه»

(2/ 1059و1060-1061)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 77)، وحسنه شيخنا الكريم متع الله به في تحقيقه لـ«رسالة أخلاق العلماء».

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله في «قواطع الأدلة» (5/ 133-135): المفتي من العلماء من استكملت فيه ثلاث شرائط:

أحدها: أن يكون من أهل الاجتهاد وقد قدمنا شروط المجتهد وصفته.

والشرط الثاني: ان يستكمل أوصاف العدالة في الدين حتى يثق بنفسه في التزام حقوقه ويوثق به في القيام بشروط.

والشرط الثالث: أن يكون ضابطا نفسه من التسهيل كافا لها عن الترخيص حتى يقوم بحق الله تعالى في إظهار دينه ويقوم بحق مستفتيه.

وللمتسهل حالتان:

إحديهما : أن يتسهل في طلب الأدلة وطرق الأحكام ويأخذ بمبادىء النظر وأوائل الفكر فهذا مقصر في حق الاجتهاد فلا يحل له أن يفتي ولا يجوز أن يستفتى وأن جاز أن يكون ما أجاب به حقا لأنه غير مستوف لشروط الاجتهاد لجواز أن يكون الصواب مع استيفاء النظر في غير ما اختلف فيه.

والحالة الثانية: أن يتسهل في طلب الرخص وتأويل الشبه ومعنى النظر ليتوصل إليها وتعليق بأضعفها وهذا متجوز في دينه متعد في حق الله تعالى أو غار لمستفتيه عادل عما أمر الله سبحانه به في قوله: +وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ_ [آل عمران: 187] وهو في هذه الحالة أعظم مأثما منه في الأولى لأنه في الحالة الأولى مقصر. وفى الثانية متعد وإن كان في الحالتين آثما متجوزا. لكن الثانى أعظم وكما لا يجوز أن يطلب الرخص والشبه كذلك لا يجوز أن يطلب التغليظ والتشديد وليعدل في الجواب إلى ما يوجبه صحه النظر من الحكم الذى تقتضيه الأدلة

الصحيحة فإن دلت على التغليظ أصاب وإن دلت على الترخيص أصاب وإن كان للتغليظ وجه في الاجتهاد أمسك عن ذكره فهذه الشروط التي يجب أن يكون عليها المفتى فإن أخل بها لم يحل للفتيا ولا يحل لسائل علم بحالة أن يستفتيه. ا'

وقال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في «أدب المفتي والمستفتي» (ص85-86): أما شروطه -يعني: المفتي- وصفاته فهي: أن يكون مكلفا مسلما ثقة مأمونا منزها من أسباب الفسق ومسقطات المروءة لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح للإعتماد وإن كان من أهل الإجتهاد ويكون فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح التصرف والإستنباط متيقظا. ا'

وقال (ص107): .... الثانية: لا تصح فتيا الفاسق وإن كان مجتهدًا مستقلاً غير أنه لو وقعت له في نفسه واقعة عمل فيه بإجتهاد نفسه، ولم يستفت غيره. ا'

وقال (ص11): .... السابعة: لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتي وذلك قد يكون بأن لا يثبت ويسرع بالفتوى قبل إستيفاء حقها من النظر والفكر وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة والإبطاء عجز ومنقصة وذلك جهل ولإن يبطىء ولا يخطىء أجمل به من أن يعجل فيضل ويضل فإن تقدمت معرفته بما سئل عنه على السؤال فبادر عند السؤال بالجواب فلا بأس عليه وعلى مثله يحمل ما ورد عن الأئمة الماضيين من هذا القبيل، وقد يكون تساهله وانحلاله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة أو المكروهة والتمسك بالشبه للترخيص على من يروم نفعه أو التغليظ على من يريد ضره ومن فعل ذلك هان عليه دينه ونسأل الله العافية والعفو. ا'

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «إرشاد الفحول» (2/ ص1102): إذا تقرر لك أن العامي يسأل العالم، والمقصر يسأل الكامل، فعليه أن يسأل أهل العلم المعروفين بالدين، وكمال الورع، عن العالم بالكتاب والسنة، العارف بما فيهما، المطلع

على ما يحتاج إليه في فهمها، من العلوم الآلية، حتى يدلوه عليه، ويرشدوه إليه، فيسأله عن حادثته "طالبا" منه أن يذكر له فيها ما في كتاب الله سبحانه، أو ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ يأخذ الحق من معدنه، ويستفيد الحكم من موضعه، ويستريح من الرأي الذي لا يأمن المتمسك به أن يقع في الخطأ، المخالف للشرع، المباين للحق، ومن سلك هذا المنهج، ومشى في هذا الطريق، لا يعدم مطلبه، ولا يفقد من يرشده إلى الحق، فإن الله سبحانه وتعالى قد أوجد لهذا الشأن من يقوم به، ويعرفه حق معرفته، وما من مدينة من المدائن إلا وفيها جماعة من علماء الكتاب والسنة. اهـ وانظر «الفقيه والمتفقه» (2/ 375) وما بعدها.

ورحم الله الإمام ابن سيرين إذ يقول: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم. ذكره مسلم في مقدمة الصحيح.

إن العالم هو الذي يخشى الله تعالى ويراقبه في أقواله وأفعاله إذ أن العلم النافع دليل الخشية والعمل الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، ومن لم يخشَ الله في أقواله وأفعاله ويراقبه فهو إلى الفسق أقرب، وإلى الزيغ والضلال والانحراف ما هو.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: فصل ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرضه ومضادته في أمره ونهيه وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه، فإن الرأي رأيان: رأي يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار وهو الذي اعتبره السلف وعملوا به، ورأي يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار فهو الذي ذموه وأنكروه، وكذلك الحيل نوعان : نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام وتخليص الحق من الظالم المانع له وتخليص المظلوم من

يد الظالم الباغي فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه، ونوع يتضمن إسقاط الواجبات وتحليل المحرمات وقلب المظلوم ظالما والظالم مظلوما والحق باطلا والباطل حقا فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض .....، الوجه السادس: أن الله تعالى أخبر عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لما احتالوا على إباحة ما حرمه الله تعالى عليهم من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد قال بعض الأئمة : ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهي الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه إذ الفقيه من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده وتعظيم حرماته والوقوف عندها ليس المتحيل على إباحة محارمه وإسقاط فرائضه ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيبا لموسى عليه السلام وكفرا بالتوراة وإنما هو استحلال تأويل واحتيال ظاهره ظاهر الإتقاء وباطنه باطن الاعتداء ولهذا والله أعلم مسخوا قردة لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان وفي بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه وهو مخالف له في الحد والحقيقة فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهر دون حقيقته مسخهم الله تعالى قردة يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقًا. اهـ المراد، انظر «إغاثة اللهفان» (ص304و309).

وأما شأن الفراكسة الاختلاطيين وغيرهم من دعاة الفساد والاختلاط فإنهم يقربون الناس إلى الزنا من أهم أبوابه إلا وهو دعوتهم إلى جواز اختلاط الجنسين.

وهذا ناتج عن ضعف التقوى وقلة الخير الحاصلة في هؤلاء القوم قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

وليس لهم في ذلك حجة ولا دليل من قران ولا برهان وإنما هو الهوى والشقشقة والثرثرة التي ابتلي بها كثير من الأصوليين ويحاولون أن يلووا نصوص الكتاب والسنة

ويغيروا مسارها لأجل أن يلبسوا على الناس دينهم ويردوهم في الضلال والانحراف الخُلُقي.

ولا حاجة لنا إلى ثرثرة وشقشقة وتشدق وهذيان وهذرمة وسفسطة كثير من الأصوليين؛ فإن كثيرًا منهم لم يسلم من جهل الفراغ ولم يسلم من الانحراف في العقيدة، بل بعضهم كان لا يصلي.

وكم أفسد علم الكلام كثيرًا من الأصوليين، وأعرضوا عن هدي سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، ولم يرفعوا لسنته رأسًا فضلوا وأضلوا.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في «أدب الطلب» (ص126-133): وبالجملة: فمن عرف الفنون وأهلها معرفة صحيحة لم يبق عنده شك أن اشتغال أهل الحديث بفنهم لا يساويه اشتغال سائر أهل الفنون بفنونهم ولا يقاربه بل لا يعد بالنسبة إليه كثير شيء فإن طالب الحديث لا يكاد يبلغ من هذا الفن بعض ما يريده إلا بعد أن يفنى صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته فيه ويطوف الأقطار ويستغرق بالسماع والكتب الليل والنهار ونحن نجد الرجل يشتغل بفن من تلك الفنون العام والعامين والثلاثة فيكون معدودا من محققي أهله ومتقنيهم.

فما بالكم أيها المقلدة إذا أردتم الرجوع إلى فن السنة لم تصنعوا فيه كما تصنعونه في غيره من الرجوع إلى أهل الفن وعدم الاعتداد بغيرهم وهل هذا منكم إلا التعصب البحت والتعسف الخالص والتحكم الصرف فهلا صنعتم في هذا الفن الذي هو رأس الفنون وأشرفها كما صنعتم في غيره فرجعتم إلى أهله وتركتم ما تجدونه مما يخالف ذلك في مؤلفات المشتغلين بالفقه الذين لا يفرقون بين أصح الصحيح وأكذب الكذب كما يعرف ذلك من يعرف نصيبًا من العلم وحظًا من العرفان.

ومن أراد الوقوف على حقيقة هذا فلينظر مؤلفات جماعة هم في الفقه بأعلى رتبة مع التبحر في فنون كثيرة كالجويني والغزالي وأمثالها؛ فإنهم إذا أرادوا أن يتكلموا في

الحديث جاءوا بما يضحك منه سامعه ويعجب لأنهم يوردون الموضوعات فضلا عن الضعاف ولا يعرفون ذلك ولا يفطنون به ولا يفرقون بينه وبين غيره وسبب ذلك عدم اشتغالهم بفن الحديث كما ينبغي فكانوا عند التكلم فيه عبرة من العبر.

وهكذا حال مثل هذين الرجلين وأشباههم من أهل طبقتهم مع تبحرهم في فنون عديدة فما بالك بمن يتصدى للكلام في فن الحديث ويشتغل بإدخاله في مؤلفاته وهو دون أولئك بمراحل لا تحصر.

وهكذا تجد كثيرا من أئمة التفسير الذين لم يكن لهم كثير اشتغال بعلم السنة كالزمخشري والفخر الرازي وغالب من جاء بعدهم فإنهم يوردون في تفاسيرهم الموضوعات التي لا يشك من له أدنى اشتغال بعلم الحديث في كونه موضعا مكذوبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك المفسر قد أدخله في تفسيره واستدل به على ما يقصده من تفسير كتاب الله سبحانه.

وهكذا أئمة أصول الفقه فإن أكثر من يشتغل من الناس في هذا الزمان بمؤلفاتهم لا يعرفون فن الحديث ولا يميزون شيئا منه بل يذكرون في مؤلفاتهم الموضوعات ويبنون عليها القناطر.

وبهذه الأسباب تلاعب الناس بهذا الفن الشريف وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح كذب فصار من له تمييز يقضي من صنيعهم العجب إذا وقف على مؤلفاتهم ومع ذلك فهم لا يشعرون بما هم فيه من الخطأ والخطل والزلل وهم الموقعون لأنفسهم في هذه الورطة بعدم رجوعهم في هذا الفن بخصوصه إلى أهله المشتغلين به كما يرجعون إلى أهل سائر الفنون عند احتياجهم إلى مسألة من مسائله.

ولست أظن سبب تخصيصهم لهذا الفن الشريف الجليل بعدم الرجوع إلى أهله دون غيره إلا ما يجده الشيطان في تزيين مثل ذلك لهم من المحال في الدين وإثبات

الأحكام الشرعية بالأكاذيب المختلفة وإغفال كثير من مهمات الدين لعدم علم المتكلمين في الفقه بأدلتها.

وأنت لا يخفى عليك بعد هذا أن إنصاف الرجل لا يتم حتى يأخذ كل فن عن أهله كائنا ما كان فإنه لو ذهب العلم الذي قد تأهل للاجتهاد يأخذ مثلا الحديث عن أهله ثم يريد أن يأخذ ما يتعلق بتفسيره في اللغة عنهم كان مخطئا في أخذ المدلول اللغوي عنهم وهكذا أخذ المعنى الإعرابي عنهم فإنه خطأ بل يأخذ الحديث عن أئمته بعد أن يكشف عن سنده وحال رواته ثم إذا احتاج إلى معرفة ما يتعلق بذلك الحديث من الغريب رجع إلى الكتب المدونة في غريب الحديث وكذا سائر كتب اللغة المدونة في الغريب وغيره.

وإذا احتاج إلى معرفة بنية كلماته رجع إلى علم الصرف وإذا احتاج إلى معرفة إعراب أواخر كلمة رجع إلى علم النحو وإذا أراد الاطلاع على ما في ذلك الحديث من دقائق العربية وأسرارها رجع إلى علم المعاني والبيان وإذا أراد أن يسلك طريقة الجمع والترجيح بينه وبين غيره رجع إلى علل أصول الفقه.

فالعالم إذا صنع ظفر بالحق من أبوابه ودخل إلى الإنصاف بأقوى أسبابه.

وأما أخذ العلم عن غير أهله ورجح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها وأعرض من كلام أهلها فإنه يخبط ويخلط ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتقان وهو حقيق بذلك فإن من ذهب يقلد أهل علم الفقه فيما ينقلونه من أحاديث الأحكام ولم يعتد بأئمة الحديث ولا أخذ عنهم واعتمد مؤلفاتهم كان حقيقا بأن يأخذ بأحاديث موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرع عليه مسائل ليست من الشريعة فيكون من المتقولين على الله بما لم يقل المكلفين عباده بما لم يشرعه فيضل ويضل ولا بد أن يكون عليه نصيب من وزر العاملين بتلك المسائل الباطلة إلى يوم القيامة فإنه قد سن لهم سننا

سيئة ويصدق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما أثمه على الذي أفتاه أخرجه أحمد في «المسند» وابن ماجه وفي لفظ من أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه أخرجه أحمد وأبو داود ورجال إسناده أئمة ثقات وليس هذا بمجتهد حتى يقال إنه إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر بل هذا مجازف مجترئ على شريعة الله متلاعب بها؛ لأنه عمد إلى من لا يعرف علم الشريعة المتطهرة فرواها عنه وترك أهلها بمعزل فإن كان يعلم أن أخذ ما يستدل به من الأحاديث عن غير أهل الفن فهو قد أتى ما أتاه من الاستدلال بالباطل وإثبات المسائل التي ليست بشرع عن عمد وقصد فما أحقه أن يعاقب على ذلك فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وفي رواية يظن أنه كذب والحديث ثابت في «صحيح مسلم» وغيره وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث جماعة من الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كذب علي متعمدا فليبوأ مقعده من النار».

فهذا العامد إلى كتب ما لا يعرفون صحيح الأحاديث من باطلها ولا يميزونها بوجه من وجوه التمييز كالمشتغلين بعلم الفقه والمشتغلين بعلم الأصول قد دخل تحت حديث فهو أحد الكاذبين لأن من كان كذلك فهو مظنة للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن عن عمد منه وقصد لأنه أقدم على رواية من لا يدري أصحيح هو أم باطل ومن أقدم على ما هذا شأنه وقع في الكذب.

وإما إذا كان الناقل من غير أهل الفن لا يدري أن من نقل عنه لا تمييز له فهذا جاهل ليس بأهل لئن يتكلم على أحكام الله فاستحق العقوبة من الله بإقدامه على الشريعة وهو بهذه المنزلة التي لا يستحق صاحبها أن يتكلم معها على كلام فرد من أفراد أهل العلم فكيف على كلام الله ورسوله فبعدا وسحقا للمتجرئين على الله وعلى شريعته بالإقدام على التأليفات للناس مع قصورهم وعدم تأهلهم.

وقد كثر هذا الصنع من جماعة يبرزون في معرفة مسائل الفقه التي هي مشوبة بالرأي إن لم يكن هو الغالب عليها ويتصدرون لتعليم الطلبة لهذا العلم ثم تكبر أنفسهم عندهم لما يجدونه من اجتماع الناس عليهم وأخذ العامة بأقوالهم في دينهم فيظنون أنهم قد عرفوا ما عرفه الناس وظفروا بما ظفر به علماء الشريعة المتصدرون للتأليف والكلام على مسائل الشريعة فيجمعون مؤلفات هي مما قمشت وطن حبل الحاطب صنع من لا يدري لمن لا يفهم ثم يأخذها عنهم من هو أجهل منهم وأقصر باعا في العلم فينشر في العالم وتظهر في الملة الإسلامية فاقرة من الفواقر وقاصمة من القواصم وصاحبها لجهله يظن أنه قد تقرب إلى الله بأعظم القرب وتاجره بأحسن متاجرة وهو فاسد الظن باطل الاعتقاد مستحق لسخط الله وعقوبته لأنه أقدم في محل الإحجام وتحلى بما ليس له ودخل في غير مدخله ووضع جهله على أشرف الأمور وأعلاها وأوالها بالعلم والإتقان والتمييز وكمال الإدراك.

فهذا هو بمنزلة القاضي الذي لا يعلم بالحق فهو في النار سواء حكم بالحق أو بالباطل بل هذا الذي أقدم على تصنيف الكتب وتحرير المجلدات في الشريعة الإسلامية مع قصوره وعدم بلوغه إلى ما لا يبد لمن يتكلم في هذا الشأن منه أحق بالنار من ذلك القاضي الجاهل لأنه لم يصب بجهل القاضي الجاهل مثل ما أصيب بمصنفات هذا المصنف المقصر.

ومن فتح الله عليه من معارفه بما يعرف به الحق من الباطل والصواب من الخطأ لا يخفى عليه ما في هذه المصنفات الكائنة بأيدي الناس في كل مذهب فإنه يقف من ذلك على العجب ففي بعض المذاهب يرى أكثر ما يقف عليه في مصنف من مصنفات الفقه خلاف الحق وفي بعضها يجد بعضه صوابا وبعضه خطأ وفي بعضها يجد الصواب أكثر من الخطأ ثم يعثر على ما يحرره مصنفو تلك الكتب من الأدلة لتلك المسائل التي قد دونوها فيجدوا في الصحيح والحسن والضعيف والموضوع وقد

جعلها المصنف شيئا واحدا وعمل بها جميعا من غير تمييز وعارض بين الصحيح والموضوع وهو لا يدري ورجح الباطل على الصحيح وهو لا يعلم.

فما كان أحق هذا المصنف لا كثر الله في أهل العلم من أمثاله بأن يؤخذ على يده ويقال له اترك ما لا يعنيك ولا تشتغل بما ليس من شأنك ولا تدخل فيما لا مدخل لك فيه.

ثم إذا فات أهل عصره أن يأخذوا على يده فلا ينبغي أن يفوت من بعده أن يأخذوا على أيدي الناس ويحولوا بينهم وبين هذا الكتاب الذي لا يفرق مؤلفه بين الحق والباطل ولا يميز بين ما هو من الشريعة وما ليس منها فما أوجب هذا عليهم فإن هذا المشئوم قد جنى على الشريعة وأهلها جناية شديدة وفعل منكرا عظيما وهو يعتقد لجهله أنه قد نشر في الناس مسائل الدين ويظن من اتبعه في الأخذ عنه أن هذا الذي جاء به هذا المصنف هو الشريعة فانتشر بين الجاهلين أمر عظيم وفتنة شديدة.

وهذا هو السبب الأعظم في اختلاط المعروف بالمنكر في كتب الفقه وغلبة علم الرأي على علم الرواية.

فإن المتصدر للتصنيف في كتب الفقه وإن بلغ في إتقانه وإتقان علم الأصول وسائر الفنون الآلية إلى حد يتقاصر عنه الوصف إذ لم يتقن علم السنة ويعرفه صحيحه من سقيمه ويعول على أهله في إصداره وإيراده كانت مصنفاته مبنية على غير أساس لأن علم الفقه هو مأخوذ من علم السنة إلا القليل منه وهو ما قد صرح بحكمه القرآن الكريم فما يصنع ذو الفنون بفنونه إذا لم يكن عالما بعلم الحديث متقنا له معولا على المصنفات المدونة فيه.

وبهذه العلة تجد المصنفين في علم الفقه يعولون في كثير من المسائل على محض الرأي ويدونونه في مصنفاتهم وهم لا يشعرون أن في ذلك سنة صحيحة يعرفها أقل

طالب لعلم الحديث وقد كثر هذا جدا من المشتغلين بالفقه على تفاقم شره وتعاظم ضرره وجنوا على أنفسهم وعلى الشريعة وعلى المسلمين.

وإذا شككت في شئ من هذا فخذ أي كتاب شئت من الكتب المصنفة في الفقه وطالعه تجد الكثير الواسع وكثيرا ما تجد في ذلك من المسائل التي لم تدع إليها حاجة ولا قام عليها دليل بل مجرد الفرض والتقدير وما يدور في مناظرة الطلبة ويسبق إليه أذهانهم فإن هذا يكون في الابتداء سؤالا ومناظرة ثم يجيب عنه من هو من أهل الفقه وغالب من يتصدر منهم وينفق بينهم هو من لا التفات له إلى سائر العلوم ولا اشتغال منه بها ولا يعرف الحجة ولا يعقلها فيدون الطلبة جوابه ويصير حينئذ فقيها وعلما وهو كلام جاهل لا يستحق الخطاب ولا يعول على مثله في جواب لو تكلم معه المتكلم في فن من فنون الاجتهاد لكان ذلك عنده بمنزلة من يتكلم بالعجمية ويأتي بالمعميات ويتعمد الألغاز.

فيا هذا الجاهل لا كثر الله في أهل العلم من أمثالك ألا تعتصر على ما قد عرفته من كلام من تقلده فإذا سألك سائل عن شيء منه نقلته له بنصه وإن سألك عما لم يكن منه قلت لا أدري فما بالك والكلام برأيك وأنت جاهل لعلم الرأي فضلا عن علم الرواية وعاطل عن كل معقول ومنقول لم تحط من علم الفقه الذي ألفه أهل مذهبك إلا بمختصر من المختصرات فضلا عن مؤلفات غير أهل مذهبك في الفقه فضلا عن المؤلفات في سائر العلوم فأنت من علامات القيامة ومن دلائل رفع العلم وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وعن أمثالك وأبان لنا أنه يتخذ الناس رؤوسا جهالا فيفتون بغير علم فيظلون ويضلون فأنت ممن يفتي بغير علم ويعتمد الضلالة لنفسه والإضلال للناس فاربع على ظلعك وأقصر من غوايتك واترك ما ليس من شأنك ودع مثل هذا لمن علمه الله الكتاب والسنة وأطلعه على أسرارها بما فتح له من المعارف الموصلة إليهما فأنت وإن وكلت الأمر إلى أهله وألقيت عنان هذا المركب إلى

فارسه دخل إلى الشرع من أبوابه ووصل إلى الحق من طريقه وحط عن عباد الله كثيرا من هذه التكاليف التي قد كلفهم بها أمثالك من الجهال وأراحهم من غالب هذه الأكاذيب التي يسمونها علما فإن ذلك شيء بالجهل خير منه. ا'

فالقواعد الأصولية لا بد أن تخضع لكتاب الله وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي قاعدة ليست على كتاب وسنة فهي بقل وخل، والواجب الإعراض عنها ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3].

والاسترسال في قراءة كتب الأصوليين الذين ابتلوا بجهل الفراغ لسبب في القلب غمة وغفلة وظلمة.

ولا أدل من ذلك ما هو معلوم من حال الفراكسة الاختلاطيين، وحال قواعدهم التي كانت سببًا في هدم كثير من أخلاق الشباب والشابات.

فالقواعد الشرعية الصحيحة لا تبيح للناس ما حرم الله عليهم.

هاتوا لنا دليلاً صحيحاً قامت عليه قاعدة أصولية تبيح للناس مثل هذا الاختلاط.

هاتوا لنا دليلاً صحيحاً قامت عليه قاعدة أصولية تبيح للناس الانتخابات الطاغوتية.

فأهل العلم من أهل الصيانة والديانة والصدق والأمانة في منأ ومعزل عن مثل هذه الدعوات الهدّامة باسم الأصول، وما أدراك ما الأصول.

فأي ضرورة شرعية تبيح للمرأة أن تتعلم مع الرجال جنباً إلى جنب، وأن يكونوا في غرفة واحدة.

وأي ضرورة شرعية تبيح للمرأة أن تتعلم كيفية طبخ الحلويات عند الرجال.

وأي ضرورة شرعية تبيح للمرأة أن تتعلم قيادة السيارة عند الرجال، كل هذا باسم الضرورة.

قاتل الله هذه الضرورة الفاسدة الهالكة المهلكة.

قاتل الله الفراكسة الفاسدين المفسدين، أفٍ لكم وتف وقبحاً لمثل هذه الضروريات الشيطانية الشهوانية.

كل ذلك ناتج عن ضعف في البصيرة، وفساد في الطوية.

إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء : 29].

فأي شيء أشد من أن يقتل المرء نفسه بمثل هذا الاختلاط.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : 195].

فأي شيء أشد تهلكة وهالكاً أن يرمي المرء نفسه بين أحضان الفاجرات البغايا الزانيات، ويختلط بهن.

إن عدم المبالاة بمثل هذه الفواقر، وعدم النظر في عواقب الأمور ليدل على ما عند القوم من الشطط والطيش والسفه.

روى الخلال عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: كان يقال: من لم يبال ما قال، ولا ما قيل له فهو ولد شيطان ، وعن محمد بن الحجاج المصفر مثله إلا أنه قال: فهو لغير رشدة.

قال الخلال: سألت ثعلبا النحوي عن السفلة فقال: الذي لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له قال الجوهري: السفل والسفل والسفول والسفال بالضم نقيض العلو والعلو والعلو والعلاء والعلاوة ، والسافل نقيض العالي ، والسفالة بالفتح النذالة ، وقد

سفل بالضم ، والسفلة بكسر الفاء الساقط من الناس يقال هو من السفلة ولا يقال هو من سفلة لأنه جمع ، والعامة تقول رجل سفلة من قوم سفل .

قال ابن السكيت: وبعض العرب يخفف فيقول فلان من سفلة الناس، قال الخلال: وروى الحاكم في تاريخه عن مالك، قال لي ربيعة الرأي يا مالك من السفلة ؟ قال: قلت من أكل بدينه، فقال لي: ومن أسفل السفلة؟ قلت: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه، فصدرني.

وروي أيضاً عن ابن المبارك وسئل ما حد السفلة؟ قال: هم الذين يتطيلسون ويأتون أبواب القضاة ويطلبون الشهادات. اهـ انظر «الآداب الشرعية» (ص215).

ولا يفرح بمثل هذه الفتاوى الشيطانية الشهوانية إلا من كان من جنس القوم.

قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور : 26].

أخرج مسلم برقم (6708) عن أبي هريرة رضي الله عنه والبخاري تعليقاً برقم (3336) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

وفي الأخير أنصح لك أيها الأخ الكريم أن تعرض عن مثل هؤلاء الدعاة، دعاة الفساد والاختلاط والتميع أدعياء السلفية الجديدة.

وإياك أن تجادل عنهم وتخاصم أو تلتمس لهم المعاذير الغير الشرعية.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَّ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء : 107 - 109].

والجدال بالباطل من أسباب الضلال.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾» أخرجه الترمذي رقم (3253)، وابن ماجه برقم (48)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الإمام الوادعي رحمه الله (1/ رقم479).

وإياك أن تكونوا للخائنين خصيماً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُّ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء : 105].

ومن علم باطلاً وخاصم من أجله لم يزل في سخط الله حتى ينزع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ فَقَدْ ضَادَّ اللهَّ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهَّ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُّ رَدْغَةَ الْخَبَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» أخرجه أبو داود برقم (3597)، وصححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (1/ رقم755).

واعلم أخي رعاك الله أن المرأة يُسن لها في الصلاة التسبيح إذا سها الإمام دون التصفيق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري رقم (1203)، ومسلم برقم (954).

فكيف يجوز لنا أن نزج بها ونرميها بين أحضان الفجرة الفسقة، أيعقل مثل هذا.

والمرأتان اللتان ذكر الله عنهما أنهما امتنعتا من السقي حتى يصدر الرعاء، ليتعبران خيراً من دعاة الفساد والاختلاط قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص : 23].

قوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي: جماعة ﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يُؤذَيا، فلما رآهما موسى، عليه السلام، رق لهما ورحمهما، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء. اهـ انظر «تفسير ابن كثير» رحمه الله (3/ 370).

فالمرأتان خافتا على أنفسهن أن يختلطن بالرجال، وأما الفراكسة فيرمونها بالاختلاط رمياً بحجة الأصول ما الأصول ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 81-82].

وأما تحذير الفراكسة من دار الحديث ونجمها، فلا غرو ولا غضاضة في ذلك، إذ أن هذه الدار العامرة وافقة إمام أصحاب الشبهات والشهوات فلا غرابة في التنكر لها والطعن فيها.

هذا ولا يخفى عليك أخي الكريم وفقني وإياك أن التقول على الله تعالى والافتراء عليه جرم كبير وذنب جسيم عظيم، وأعظم من ذلك أن ينسب إلى الله تعالى أنه يأمر بالفحشاء، تعالى الله عما يقولون الظالمون علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي

الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود : 18 – 22].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهَّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُّ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف : 7 – 9].

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهَّ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : 144].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُّ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَّ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهَّ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : 28].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام : 151].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهَّ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهَّ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل : 116 ، 117].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة : 44 – 46].

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» (1/ ص284-285):
وأما (القول على الله بلا علم) فهو أشد هذه المحرمات تحريما وأعظمها إثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال بل لا تكون إلا محرمة وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال؛ فإن المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال ومحرم تحريما عارضا في وقت دون وقت قال الله تعالى في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه وعداوة من والاه وموالاة من عاداه وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ولا أشد إثما وهو أصل الشرك والكفر ووعليه أسست البدع والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ الآية، فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى ما لم يصف به نفسه؟ أو نفى عنه منها ما وصف به نفسه؟.

قال بعض السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرم الله كذا فيقول الله: كذبت لم أحل هذا ولم أحرم هذا، يعني التحليل والتحريم بالرأي المجرد بلا برهان من الله ورسوله، وأصل الشرك والكفر: هو القول على الله بلا علم فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبودا من دون الله يقر به إلى الله ويشفع له عنده ويقضى حاجته بواسطته كما تكون الوسائط عند الملوك فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والإبتداع في دين الله فهو أعم من الشرك والشرك فرد من أفراده، ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبًا لدخول النار واتخاذ منزلة منها مبوءا وهو المنزل اللازم لا يفارقه صاحبه لأنه متضمن للقول على الله بلا علم كصريح الكذب عليه لأن ما انضاف إلى الرسول فهو مضاف إلى المرسل والقول على الله بلا علم صريح افتراء الكذب عليه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾؛ فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة منه إلاَ بالتوبة من البدع.

وأتى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة أو يظنها سنة فهو يدعو إليها ويحض عليها فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة وكثرة اطلاعه عليها ودوام البحث عنها والتفتيش عليها ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدًا؛ فإن السنة بالذات تمحق البدعة ولا تقوم لها وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة وأزالت ظلمة كل ضلالة إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة إلا المتابعة والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله بالإستعانة والإخلاص وصدق اللجإ إلى الله والهجرة إلى رسوله بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة والله المستعان. اهـ

وبعض الناس ربما يُغتر به، فإذا عُرف حاله وحقيقة أمره كان الشأن كما قيل: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه.

قال الإمام مسلم رحمه الله في «مقدمة صحيحه» (1/ 121): وحدثني محمد بن عبد الله بن قُهزاد، قال سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول: سمعت ابن المبارك يقول: لو خُيّرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن مُحرر لاخترت أن ألقاه، ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إليَّ منه.

وليس لنا من الناس إلا ما ظهر من أعمالهم.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ» أخرجه البخاري برقم (2641).

وعليه أخي الكريم أكرمني الله وإياك بالسنة ظاهرًا وباطنًا حتى نلقاه أن نسدّ ذرائع الفتن أمر مقصود شرعًا ولو لأدنى شبهة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا» قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عِرْقٌ نَزَعَهَا، قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ» وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ. أخرجه البخاري رقم (6847)، ومسلم رقم (3766) وما بعده.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ.

وفي رواية: أَنَّهُ تَزَوَّجَ أُمَّ يَحْيَى بِنْتَ أَبِي إِهَابٍ قَالَ: فَجَاءَتْ أَمَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْرَضَ عَنِّي قَالَ فَتَنَحَّيْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ وَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنْ قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا فَنَهَاهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري برقم (88) وفرقه في عدم مواضع.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَهِدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ مِنِّي فَاقْبِضْهُ قَالَتْ فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ أَخَذَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَقَالَ ابْنُ أَخِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ فِيهِ فَقَامَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ فَقَالَ أَخِي وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ فَتَسَاوَقَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللهَّ ابْنُ أَخِي كَانَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ فِيهِ فَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ أَخِي وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ثُمَّ قَالَ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجِبِي مِنْهُ لِمَا رَأَى مِنْ شَبَهِهِ بِعُتْبَةَ فَمَا رَآهَا حَتَّى لَقِيَ اللهَّ. أخرجه البخاري برقم (6749)، ومسلم (3613).

الفراكسة الاختلاطيون وغيرهم من دعاة الفساد والاختلاط مفسدون وإن ادعوا الإصلاح والصلاح قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 11-12] ومن كان فاسدًا فسد عمله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 81].

وإلى هنا والحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك اللهم وأتوب إليك.

محمد العمودي كان الله في عونه

غروب شمس يوم الأربعاء الموافق / 4/ رجب/ 1431هـ

دماج دار الحديث والسنة العامرة رحم الله مؤسسها رحمة واسعة وحفظ خليفته القائم عليها من بعده ومتع به، ودفع عنه كيد الكائدين وشر الحاقدين الحاسدين إنه ولي ذلك القادر عليه.

الخاتمة

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: المرض نوعان:

1) مرض القلوب. 2) ومرض الأبدان.

وهما مذكوران في القرآن .

ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن.

قال تعالى في مرض الشبهة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: 31].

وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 48-50]؛ فهذا مرض الشبهات والشكوك.

فقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32]؛ فهذا مرض شهوة الزنا والله أعلم. اهـ

وقال رحمه الله: فصل: فى هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج العشق: هذا مرض من أمراض القلب، مخالف لسائر الأمراض فى ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم، عز على الأطباء دواؤه، وأعيى العليل داؤه، وإنما حكاه الله سبحانه فى كتابه عن طائفتين من الناس: من النساء، وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن امرأة العزيز فى شأن يوسف، وحكاه عن قوم لوط، فقال تعالى إخبارا عنهم لما جاءت الملائكة لوطا: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلآء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أو لم ننهك عن العالمين قال هؤلآء بناتى إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: 68-73].

وأما ما زعمه بعض من لم يقدرسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلى به فى شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: «سبحان مقلب القلوب». وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: «أمسكها» حتى أنزل الله عليه: ﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب: 37]، فظن هذا الزاعم أن ذلك فى شأن العشق، وصنف بعضهم كتابا فى العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبناه،

وكان يدعى "زيد بن محمد"، وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلاقها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، وأخفى فى نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه، لأن زيدا كان يدعى ابنه، فهذا هو الذى أخفاه فى نفسه، وهذه هى الخشية من الناس التى وقعت له، ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغى له أن يخشى الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحق أن يخشاه، فلا يتحرج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدى أمته به فى ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبنى، لا امرأة ابنه لصلبه، ولهذا قال فى آية التحريم: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ [النساء:23]، وقال فى هذه السورة: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: 40]، وقال فى أولها: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم، ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ [الأحزاب: 4]، فتأمل هذا الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق.

نعم.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب نساءه، وكان أحبهن إليه عائشة رضى الله عنها، ولم تكن تبلغ محبته لها ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب، بل صح أنه قال: "لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا"، وفى لفظ: "وإن صاحبكم خليل الرحمن".

فصل: وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى فى حق يوسف: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: 24]، فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التى هى ثمرته ونتيجته، فصرف

المسبب صرف لسببه، ولهذا قال بعض السلف: العشق حركة قلب فارغ، يعنى فارغا مما سوى معشوقه. قال تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ [القصص: 11]، إن كادت لتبدى به أى: فارغا من كل شىء إلا من موسى لفرط محبتها له، وتعلق قلبها به، والعشق مركب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع فى الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق، وقد أعيت علة العشق على كثير من العقلاء، وتكلم فيها بعضهم بكلام يرغب عن ذكره إلى الصواب.

فنقول: قد استقرت حكمة الله عز وجل فى خلقه وأمره على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشىء إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه، ونفرته عنه بالطبع، فسر التمازج والاتصال فى العالم العلوى والسفلى، إنما هو التناسب والتشاكل، والتوافق، وسر التباين والانفصال، إنما هو بعدم التشاكل والتناسب، وعلى ذلك قام الخلق والأمر، فالمثل إلى مثله مائل، وإليه صائر، والضد عن ضده هارب، وعنه نافر، وقد قال تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: 189]، فجعل سبحانه علة سكون الرجل إلى امرأته كونها من جنسه وجوهره، فعلة السكون المذكور وهو الحب كونها منه، فدل على أن العلة ليست بحسن الصورة، ولا الموافقة فى القصد والإرادة، ولا فى الخلق والهدى، وإن كانت هذه أيضا من أسباب السكون والمحبة.

وقد ثبت فى "الصحيح" عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، وفى «مسند الإمام أحمد» وغيره فى سبب هذا الحديث: أن امرأة بمكة كانت تضحك الناس، فجاءت إلى المدينة، فنزلت على امرأة تضحك الناس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "الأرواح جنود مجندة"... الحديث.

وقد استقرت شريعته سبحانه أن حكم الشيء حكم مثله، فلا تفرق شريعته بين متماثلين أبدا، ولا تجمع بين مضادين، ومن ظن خلاف ذلك، فإما لقلة علمه بالشريعة، وإما لتقصيره فى معرفة التماثل والاختلاف، وإما لنسبته إلى شريعته ما لم ينزل به سلطانا، بل يكون من آراء الرجال، فبحكمته وعدله ظهر خلقه وشرعه، وبالعدل والميزان قام الخلق والشرع، وهو التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين.

وهذا كما أنه ثابت فى الدنيا، فهو كذلك يوم القيامة. قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات: 22].

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعده الإمام أحمد رحمه الله: أزواجهم أشباههم ونظراؤهم.

وقال تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ [التكوير: 7] أى: قرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره، فقرن بين المتحابين فى الله فى الجنة، وقرن بين المتحابين فى طاعة الشيطان فى الجحيم، فالمرء مع من أحب شاء أو أبى، وفى "مستدرك الحاكم" وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم: "لا يحب المرء قوما إلا حشر معهم".

والمحبة أنواع متعددة ؛ فأفضلها وأجلها: المحبة فى الله ولله ؛ وهى تستلزم محبة ما أحب الله، وتستلزم محبة الله ورسوله.

ومنها: محبة الاتفاق فى طريقة، أو دين، أو مذهب، أو نحلة، أو قرابة، أو صناعة، أو مراد ما.

ومنها: محبة لنيل غرض من المحبوب، إما من جاهه أو من ماله أو من تعليمه وإرشاده، أو قضاء وطر منه، وهذه هى المحبة العرضية التى تزول بزوال موجبها، فإن من ودك لأمر، ولى عنك عند انقضائه.

وأما محبة المشاكلة والمناسبة التى بين المحب والمحبوب، فمحبة لازمة لا تزول إلا لعارض يزيلها، ومحبة العشق من هذا النوع، فإنها استحسان روحانى، وامتزاج نفسانى، ولا يعرض فى شىء من أنواع المحبة من الوسواس والنحول، وشغل البال، والتلف ما يعرض من العشق.

فإن قيل: فإذا كان سبب العشق ما ذكرتم من الاتصال والتناسب الروحانى، فما باله لا يكون دائما من الطرفين، بل تجده كثيرا من طرف العاشق وحده، فلو كان سببه الاتصال النفسى والامتزاج الروحانى، لكانت المحبة مشتركة بينهما.

فالجواب: أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط، أو لوجود مانع، وتخلف المحبة من الجانب الآخر لا بد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب:

الأول: علة فى المحبة، وأنها محبة عرضية لا ذاتية، ولا يجب الاشتراك فى المحبة العرضية، بل قد يلزمها نفرة من المحبوب.

الثانى: مانع يقوم بالمحب يمنع محبة محبوبه له، إما فى خلقه، أو خلقه أو هديه أو فعله، أو هيئته أو غير ذلك.

الثالث: مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب فى محبته، ولولا ذلك المانع، لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر، فإذا انتفت هذه الموانع، وكانت المحبة ذاتية، فلا يكون قط إلا من الجانبين، ولولا مانع الكبر والحسد، والرياسة والمعاداة فى الكفار، لكانت الرسل أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ولما زال هذا المانع من قلوب أتباعهم، كانت محبتهم لهم فوق محبة الأنفس والأهل والمال.

فصل: والمقصود: أن العشق لما كان مرضا من الأمراض، كان قابلا للعلاج، وله أنواع من العلاج، فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعا وقدرا، فهو علاجه، كما ثبت فى «الصحيحين» من حديث ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»، فدل المحب على علاجين: أصلى، وبدلى. وأمره بالأصلى، وهو العلاج الذى وضع لهذا الداء، فلا ينبغى العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً.

وروى ابن ماجه فى "سننه" عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم نر للمتحابين مثل النكاح». وهذا هو المعنى الذى أشار إليه سبحانه عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء: 28] فذكر تخفيفه فى هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج إلى ذلك علاجا لهذه الشهوة، وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف، ورحمة به.

فصل: وإن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين، وهو الداء العضال، فمن علاجه، إشعار نفسه اليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشىء، استراحت منه، ولم تلتفت إليه، فإن لم يزل مرض العشق مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا، فينتقل إلى علاج آخر، وهو علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا مطمع فى حصوله نوع من الجنون، وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس، وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها فى فلكها، وهذا معدود عند جميع العقلاء فى زمرة المجانين، وإن كان الوصال متعذرا

شرعا لا قدرا، فعلاجه بأن ينزله منزلة المتعذر قدرا، إذ ما لم يأذن فيه الله، فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه، فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه، وأنه بمنزلة سائر المحالات، فإن لم تجبه النفس الأمارة، فليتركه لأحد أمرين: إما خشية، وإما فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع له، وخير له منه، وأدوم لذة وسرورا، فإن العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه، وأدوم، وأنفع، وألذ أو بالعكس، ظهر له التفاوت، فلا تبع لذة الأبد التى لا خطر لها بلذة ساعة تنقلب آلاما، وحقيقتها أنها أحلام نائم، أو خيال لا ثبات له، فتذهب اللذة، وتبقى التبعة، وتزول الشهوة، وتبقى الشقوة.

الثانى: حصول مكروه أشق عليه من فوات هذا المحبوب، بل يجتمع له الأمران، أعنى: فوات ما هو أحب إليه من هذا المحبوب، وحصول ما هو أكره إليه من فوات هذا المحبوب، فإذا تيقن أن فى إعطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الأمرين، هان عليه تركه، ورأى أن صبره على فوته أسهل من صبره عليهما بكثير، فعقله ودينه، ومروءته وإنسانيته، تأمره باحتمال الضرر اليسير الذى ينقلب سريعا لذة وسرورا وفرحا لدفع هذين الضررين العظيمين. وجهله وهواه، وظلمه وطيشه، وخفته يأمره بإيثار هذا المحبوب العاجل بما فيه جالبا عليه ما جلب، والمعصوم من عصمه الله.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، ولم تطاوعه لهذه المعالجة، فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلته، وما تمنعه من مصالحها، فإنها أجلب شىء لمفاسد الدنيا، وأعظم شىء تعطيلا لمصالحها، فإنها تحول بين العبد وبين رشده الذى هو ملاك أمره، وقوام مصالحه.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها، وجدها أضعاف محاسنه التى تدعو إلى حبه، وليسأل جيرانه عما خفى عليه منها، فإن المحاسن كما هى داعية الحب والإرادة، فالمساوئ داعية

البغض والنفرة، فليوازن بين الداعيين، وليحب أسبقهما وأقربهما منه بابا، ولا يكن ممن غره لون جمال على جسم أبرص مجذوم وليجاوز بصره حسن الصورة إلى قبح الفعل، وليعبر من حسن المنظر والجسم إلى قبح المخبر والقلب.

فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثا به، متضرعا، متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق، فليعف وليكتم، ولا يشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى، فإنه يكون ظالما متعديا، ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه سويد بن سعيد، عن على بن مسهر، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم، ورواه عن أبى مسهر أيضا، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبى صلى الله عليه وسلم، ورواه الزبير بن بكار، عن عبد الملك ابن عبد العزيز بن الماجشون، عن عبد العزيز بن أبى حازم، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عشق، فعف، فمات فهو شهيد" وفى رواية: "من عشق وكتم وعف وصبر، غفر الله له، وأدخله الجنة".

فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يكون من كلامه، فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصديقية، ولها أعمال وأحوال، هى شرط فى حصولها، وهى نوعان: عامة وخاصة.

فالخاصة: الشهادة فى سبيل الله، والعامة خمس مذكورة فى الصحيح» ليس العشق واحدا منها، وكيف يكون العشق الذى هو شرك فى المحبة، وفراغ القلب عن الله، وتمليك القلب والروح، والحب لغيره تنال به درجة الشهادة، هذا من المحال، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذى يسكرها،

ويصدها عن ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره، فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه، بل العشق لب العبودية، فإنها كمال الذل، والحب والخضوع والتعظيم، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم، وخواص الأولياء، فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس، كان غلطا ووهما، ولا يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ العشق فى حديث صحيح ألبتة، ثم إن العشق منه حلال، ومنه حرام، فكيف يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد، فترى من يعشق امرأة غيره، أو يعشق المردان والبغايا، ينال بعشقه درجة الشهداء، وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة ؟ كيف والعشق مرض من الأمراض التى جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعا وقدرا، والتداوى منه إما واجب إن كان عشقا حراما، وإما مستحب، وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بالشهادة، وجدتها من الأمراض التى لا علاج لها، كالمطعون، والمبطون، والمجنون، والحريق، والغريق، وموت المرأة يقتلها ولدها فى بطنها، فإن هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها، ولا علاج لها، وليست أسبابها محرمة، ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق. اهـ المراد انظر «زاد المعاد» (4/ 5-6و265-277).

وقال رحمه الله: فصل والفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى فقل ما شئت في ضلال سيء القصد الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما

بعث الله به رسوله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم : 23].

وقد أخبر الله سبحانه أن إتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال.

ولا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد إتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله ظاهره وباطنه عقائده وأعماله حقائقه وشرائعه فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وصوم رمضان فلا يجعله رسولا في شيء دون شيء من أمور الدين بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله وكل ما خرج عنها فهو ضلال فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض ما سواه ووزنه بما جاء به الرسول فإن وافقه قبله لا لكون ذلك القائل قاله بل لموافقته للرسالة وإن خالفه رده ولو قاله من قاله فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد وتارة من نقل كاذب وتارة من حق ثابت خفلعلى الرجل فلم يظفر به وتارة من غرض فاسد وهوى متبع فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة.

فصل وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ﴾ [التوبة: 69] أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها والخلاق هو النصيب المقدر ثم قال: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات.

وجمع بينهما أيضا في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر : 3]، فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر الذي يكف عن الشهوات وجمع بينهما في قوله : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45] فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله، والأبصار: البصائر في أمر الله وعبارات السلف تدور على ذلك.

قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله والمعرفة بالله، وقال الكلبي: أولي القوة في العبادة والبصر فيها.

وقال مجاهد: الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحق.

وقال سعيد بن جبير: الأيدي: القوة في العمل والأبصار: بصرهم بما هم فيه من دينهم.

وقال جاء في حديث مرسل: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات».

فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة، واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان.

فصل إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين، مطلوبتين بهما سعادته وفلاحه وكماله وهما الهدى والرحمة.

قال تعالى عن موسى وفتاه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف : 65]، فجمع له بين الرحمة والعلم، وذلك نظير قول أصحاب الكهف ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا، فإن الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به، والرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به، وضدهما الغي واتباع الهوى.

وقد يقابل الرشد بالضر والشر قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا [الجن : 21]، وقال مؤمنوا الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : 10]، فالرشد يقابل الغى كما في قوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف : 146]، ويقابل الضر والشر كما تقدم وذلك؛ لأن الغي سبب لحصول الشر والضرع ووقوعهما بصاحبه.

فالضرر والشر غاية الغي، وثمرته كما أن الرحمة والفلاح غاية الهدى وثمرته، فلهذا يقابل كل منهما بنقيضه وسبب نقيضه، فيقابل الهدى بالضلال كقوله: يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله: ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل : 37] وهو كثير.

ويقابل بالضلال والعذاب كقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 123] فقابل الهدى بالضلال والشقاء.

وجمع سبحانه بين الهدى والفلاح والهدى والرحمة كما يجمع بين الضلال والشقاء والضلال والعذاب : كقوله: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ فالضلال ضد الهدى والسعر العذاب وهو ضد الرحمة.

وقال : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه : 124].

والمقصود: أن من سلم من فتنة الشبهات والشهوات جمع له بين الهدى والرحمة والهدى والفلاح.

قال تعالى عن أوليائه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[آل عمران : 8] وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : 154] وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية : 20] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : 111]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : 57] فقوله: ﴿هذا بصائر من ربكم﴾ عام مطلق وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ خاص بأهل اليقين.

ونظير ذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ونظيره في الخصوص قوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ وقوله: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾.

ونظيره أيضاً قوله: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾.

وقد أخبر أنه هدى عام لجميع المكلفين فقال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

فأخبر سبحانه أن القرآن بصائر لجميع الناس والبصائر جمع بصيرة وهي فعيلة بمعنى مفعلة أي مبصرة لمن تبصر ومنه قوله تعالى: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: مبينة موجبة للتبصر، وفعل الإبصار يستعمل لازماً ومتعدياً يقال: أبصرته بمعنى أريته وأبصرته بمعنى رأيته فمبصرة في الآية: بمعنى مرئية لا بمعنى رائية والذين ظنوها بمعنى رائية غلطوا في الآية وتحيروا في معناها.

فإنه يقال: بصر به وأبصره فيعدى بالباء تارة والهمزة تارة، ثم يقال: أبصرته كذا أي أريته إياه كما يقال: بصرته به وبصر هو به.

فههنا بصيرة وتبصرة ومبصرة فالبصيرة: المبينة التي تبصر، والتبصرة مصدر مثل التذكرة، وسمى بها ما يوجب التبصرة، فيقال: هذه الآية تبصرة لكونها آلة التبصر وموجبه.

فالقرآن بصيرة وتبصرة وهدى وشفاء ورحمة بمعنى عام، وبمعنى خاص ولهذا يذكر الله سبحانه هذا، وهذا فهو هدى للعالمين وموعظة للمتقين، وهدى للمتقين وشفاء للعالمين وشفاء للمؤمنين، وموعظة للعالمين، وموعظة للمتقين، فهو في نفسه هدى ورحمة وشفاء وموعظة.

فمن اهتدى به واتعظ واشتفى كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به الشفاء، فهو دواء له بالفعل، وإن لم يستعمله، فهو دواء له بالقوة، وكذلك الهدى.

فالقرآن هدى بالفعل لمن اهتدى به، وبالقوة لمن لم يهتد به، فإنما يهتدى به ويرحم، ويتعظ المتقون الموقنون. اهـ المراد انظر «إغاثة اللهفان» (ص500-504).